مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

ميلاد المسيح، عليه السلام، بين المصادر الإسلامية والمصادر النصرانية دراسة عقدية

د. سليمان بن عبدالعزيز الربعي
الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة القصيم
salrbaie@qu.edu.sa

ملخص البحث

يتناول هذا البحث بالدراسة العقدية المقارِنة ميلاد المسيح –عليه السلام– بين المصادر الإسلامية والمصادر النصرانية. ففي حين فصّل القرآن الكريم الخبر دالاً على تنزيه الله –تعالى– وكمال توحيده والإيمان به، وإقرار المسيح وأمّه بالعبودية، واصطفاء وطهارة مريم، وتقرير العقائد في القدر والنبوات والملائكة واليوم الآخر، وأكدت ذلك المصادر الإسلامية الأخرى التي تناولته، وهي السُّنة وكتب التاريخ؛ غاب خبر الميلاد عن إنجيلين من الأناجيل القانونية لدى النصارى، وتضمنت رواياته في الأناجيل التي ذكرته –قانونية ومخفية– عقائد باطلة في حق الله –عز وجل–، وحق أنبيائه وملائكته، وفي حقيقة المسيح وأمّه، فضلاً عن إيجازه وتناقضه والاختلاف فيه، بما جعل من دراسة هذا الموضوع بمظاهره وأسبابه أمراً مهماً، فتمّ استقراء نصوص الميلاد وتحليل دلالاتها العقدية في المصادر الإسلامية، وتتبع موارده ودراسة رواياته في الأناجيل مع نقدها والتعقيب عليها، وخُصص للأبعاد العقدية في عدم ذكر الميلاد في بعض الأناجيل وفي مجيئه في أناجيل أخرى بسمات خاصة في الشكل والمضمون، مبحث خاص.

وقد انتهى البحث إلى نتائج من أهمها أن أحداث الميلاد في المصادر الإسلامية دلت على العقيدة الصحيحة الموافقة للفطرة والعقل؛ لعصمة القرآن الكريم وصحيح السنة، بخلاف ما في أبعاد عدم ذكر الميلاد وفي ذكره في المصادر الإنجيلية من بطلان وفساد واختلاف بتأثير من العقائد المحرفة، خاصة عقيدتي تأليه المسيح وأنه المخلص المنتظر، فصارت مصادر غير موثوقة وعرضة للنقد حتى من بعض الدارسين النصارى، كما دلت الدراسة المقارنة على عصمة القرآن من التحريف، وعلى هيمنته وشهادته على الكتب السابقة، وعلى كمال الإسلام ونسخه لما قبله من الملل والأديان.

الكلمات المفتاحية: ميلاد المسيح، المصادر، الإسلام، النصرانية.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله تنزه عن الندّ والصاحبة والولد، أحمده حمداً كثيراً وهو الحقيق بالحمد من كل أحد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد الصمد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخير الخلق أجمعين ومن والدٍ وما ولد، وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان.. وبعد؛

من الملاحظات التي كانت تلفت نظري في العهد الجديد أن أناجيله لم تُعنَ بخبر ميلاد نبي الله عيسى ابن مريم –عليه السلام– بما يماثل، أو يقارب، عنايتها بأحداث أخرى في حياته الشريفة، مع ما يدّعى من أنها جاءت لتفصليها كلها[١]! كما اتسم ذكر الميلاد في بعض الأناجيل بالإيجاز والغموض والاختلاف، إضافة إلى المضامين الفاسدة في رواياته ذات الإشكالات الذاتية، في حين أولت المصادر الإسلامية خبر وأحداث الميلاد عنايتها البالغة، ففصّلت في مراحله وبيّنت حقيقته وأوضحت دلالاته العقدية المتعددة، ما يدعو إلى تخصيص هذا الموضوع بالدراسة والمقارنة والتحليل.

وسوف يكون بحث الميلاد في المصادر النصرانية من خلال الأناجيل الموجودة، سواء الأناجيل المعتمدة والقانونية لديهم، والتي كُتب أول إنجيل منها –وفق مؤرخيهم– بعد رفع المسيح بما لا يقل عن أربعين سنة، أي في الفترة ما بين عام ٦٨ وعام ٧٣ م تقريباً[٢]، أو الأناجيل غير المعتمدة التي يطلقون عليها الأناجيل المخفية أو المنتحلة أو الأبوكريفية، آملين بلوغ نتائج تكشف عن طبيعة وسمات الخبر في المصادر المختلفة، وفي الأبعاد المؤثرة فيه، ودلالات ذلك من المنحى العقدي.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١– اهتمام المصادر الإسلامية بأحداث ميلاد المسيح بما تتضمنه من المسائل والمعاني العقدية.

٢– عدم عناية المصادر النصرانية بخبر ميلاد المسيح –عليه السلام– بالرغم من أهميته.

٣– تفاوت واختلاف روايات الميلاد في أناجيل العهد الجديد.

---

(١) انظر: مدخل إلى الكتاب المقدس، للأب سليم دكاش، ص٨.

(٢) انظر: تاريخ الكتاب المقدس، لكارين أرمسترونغ، ترجمة الدكتور محمد صفار، ص٥٤، فيما يذكر ابن حزم أن أول إنجيل كُتب كان بعد رفع المسيح بتسع سنين. انظر: الفِصَل في الملل والأهواء والنّحل، ٢٥١/١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

أهداف البحث:

١- تتبع خبر ميلاد المسيح -عليه السلام- بين المصادر الإسلامية والمصادر النصرانية.
٢- دراسة أسباب عدم ذكر ميلاد المسيح وأسباب سمات ذكره في المصادر الإنجيلية.
٣- إبراز مظاهر كمال الإسلام وعصمة القرآن من خلال منهج المقارنة في هذا الموضوع.

مشكلة البحث:

بالرغم من أن ميلاد المسيح حدث عظيم، وعليه تدور كثير من عقائد النصارى، إلا أن عناية المصادر النصرانية فيه موجزة ومتفاوتة ومختلفة، فضلاً عما تحمله من المعاني والمفاهيم الفاسدة، بخلاف عناية المصادر الإسلامية فيه، بما يدعو إلى دراسة الموضوع من جوانبه المختلفة، وهو ما يسعى إليه البحث بتتبع الميلاد في المصادر الإسلامية وتحليل دلالاته، ثم دراسته في المصادر النصرانية مع تعقب نصوصه فيها ونقد رواياته، مع إلقاء الضوء على الأبعاد العقدية لظاهرة غياب ذكره في بعض مصادر ولسماته في مصادر ذكره.

الدراسات السابقة:

لا توجد -فيما اطلعت عليه- دراسة خاصة في مقارنة ميلاد المسيح بين المصادر الإسلامية والمصادر النصرانية، لكن هناك دراستين لهما تعلق بالموضوع، أُشير -فيما يلي- إلى الفروق بينهما وبين بحثي:

الدراسة الأولى: "ولادة المسيح وإشكالية التثاقف اليهودي المسيحي: دراسة تحليلية مقارنة من خلال الكتاب المقدس"، ليوسف هريمة[١]، وهي تختلف عن هذا البحث بأنها تتناول الأثر اليهودي في خبر الميلاد في العهد الجديد، كما تتضمن ملاحظات أكتفي منها بملاحظتين تعبران عن طبيعتها، **الأولى**: اعتبار أن كَتَبَة الأناجيل آمنوا برسالة المسيح، وأن اختلاف الأناجيل لنسيانهم وتعدد ثقافاتهم! يقول المؤلف: (كتَبَةُ الأناجيل كانوا بشراً بالدرجة الأولى، ويميزهم عن غيرهم إيمانهم بالرسالة وغيرتهم عليها واندفاعهم إلى نشرها، لكنهم لم يكونوا معصومين عن النسيان أو الخلفيات الثقافية المتحيزة إلى أيديولوجيا معينة)[٢]! فأين -إذاً- الأدلة النقلية والتاريخية على وقوع التحريف بأيديهم أو بإقرارهم؟! **الثانية**: زعم أن علاقة القرآن بالكتب الأخرى -كما يقول-: (أسيرة رؤية دينية أسهمت في إنشائها ثقافة آمنت بنسخ القرآن لما قبله وإبطاله لجميع الأديان، فكانت

(١) من إصدارات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، طبعة أولى ٢٠١٤م.
(٢) ص١٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ /ديسمبر٢٠٢١م)

الهيمنة –في ذهنيتها– ائتمان وشهادة وإبطال.. فأغفلت جانباً مهماً من هذه الهيمنة يتمثل في كون القرآن مدرسة نقدية لها جانب خطير في نقد الفكر الديني عموماً، واليهودي والمسيحي منه على وجه الخصوص)[١]، وهل هيمنة القرآن على الكتب قبه إلا نسخه لها تعبداً وشهادته عليها بكونه محفوظاً؟! وبعد أن طرح المؤلف أسئلة عن الميلاد في القرآن، قال: (كل هذه التساؤلات المشروعة في ميدان البحث العلمي تدفع بنا إلى محاولة الخروج بالقرآن من أسر ثقافة أَثَرِيّة قيدته حتى جف معينة وانقضى عطاؤه..)[٢]! والقرآن محفوظ بحفظ الله له، فلا يجفّ معيناً ولا ينقضي عطاء، ومن حفظ الله له أن قيضّ أهل السنة لينفوا عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

الدراسة الثانية– بحث بعنوان: "ميلاد يسوع المسيح في الأناجيل: دراسة تحليلية"[٣]، للدكتور عبدالله بن أحمد مبارك باوادي، وفقه الله، وهو يختلف عن بحثي فيما يلي:

١– أنه خاص بالميلاد في الأناجيل، وبحثي مقارنة بين المصادر الإسلامية والمصادر النصرانية فيه.

٢– أنه اقتصر على الأناجيل القانونية، بينما يشمل بحثي الميلاد في الأناجيل القانونية والمخفية.

٣– أنه عرض ما ورد من خبر الميلاد في الأناجيل القانونية، وأشار إلى عدم وروده في بعضها وأسباب ذلك في ثلاث صفحات تقريباً، بينما يُعنى بحثي بظاهرة عدم عناية الأناجيل به سواء ورد فيها أم لم يرد، كما أن هذا البحث سيطرح وجهة نظر مختلفة في توجيه أسباب عدم الورود في بعض الأناجيل.

٤– أن بحث "ميلاد يسوع" تناول مسائل في غير الميلاد، وأما بحثي فخاص بالمسائل المرتبطة بالميلاد.

٥– أن بحث ميلاد يسوع يذكر بعض روايات الميلاد في الأناجيل القانونية ويذكر بعضها بالمعنى، أما بحثي فيذكر روايات هذه الأناجيل والأناجيل المخفية مع نقدها، إلا ما كان إرهاصاً للميلاد أو تبعاً له.

٦– أن دراستي في فصلين، الفصل الأول: الميلاد في المصادر الإسلامية، وفيه مبحثان هما، الأول: الميلاد في القرآن الكريم، الثاني: الميلاد في المصادر الإسلامية غير القرآن الكريم، والفصل الثاني: الميلاد في المصادر النصرانية، وفيه ثلاثة مباحث، الأول: الميلاد في الأناجيل القانونية، الثاني: الميلاد في الأناجيل المخفية، الثالث: الأبعاد العقدية لعدم ذكر الميلاد ولسمات ذكره في

---

(١) ص١٦.

(٢) الصفحة السابقة نفسها.

(٣) وهو منشور في مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، مج ٢٨، ع ١، ١٤٤١هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ /ديسمبر٢٠٢١م)

المصادر الإنجيلية، وأما بحث ميلاد يسوع المسيح، فمباحثه ثلاثة: الأول: أسرة يسوع المسيح وبشارات الميلاد، الثاني: قصة الميلاد في إنجيلي متّى ولوقا، الثالث: قصة ميلاد يسوع المسيح في إنجيلي مرقس ويوحنا؛ فالتقاطع في المبحث الثاني، مع اعتبار ما سبق من فروق، ومع ذلك أفدتُ من هذا البحث في مواضعه.

منهج البحث:

يطبق البحث المنهج الاستقرائي المقارن لتتبع أحداث ميلاد المسيح في المصادر المختلفة، ثم دراستها وفق المنهج التحليلي، مع تعقب إغفال بعض الأناجيل للميلاد وتعقب سمات رواياته بالمنهج النقدي.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وفهرسين للمصادر والموضوعات. ففي المقدمة تعريف بالموضوع، وأسباب بحثه، وأهدافه، ومشكلته، والدراسات فيه، ومنهجه، وأما تقسيماته فكما يلي:

الفصل الأول: ميلاد المسيح في المصادر الإسلامية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الميلاد في القرآن الكريم – المراحل والدلائل، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: من البشارة إلى النفخ

المطلب الثاني: من الحمل إلى المخاض

المطلب الثالث: من الوضع إلى الكلام

المبحث الثاني: الميلاد في المصادر الإسلامية غير القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الميلاد في السنة النبوية

المطلب الثاني: الميلاد في كتب التاريخ

الفصل الثاني: ميلاد المسيح في المصادر النصرانية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الميلاد في الأناجيل القانونية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الميلاد في إنجيل متّى

المطلب الثاني: الميلاد في إنجيل لوقا

المبحث الثاني: الميلاد في الأناجيل المخفية، وفيه مطلبان:

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ /ديسمبر٢٠٢١م)

المطلب الأول: الميلاد في إنجيل البداية/ الإنجيل التمهيدي

المطلب الثاني: الميلاد في إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص

المبحث الثالث: الأبعاد العقدية لعدم ذكر الميلاد ولسمات ذكره في المصادر الإنجيلية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عقيدة تأليه المسيح

المطلب الثاني: عقيدة المسيح المنتظر

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات، ثم فهرس المصادر المراجع، وفهرس الموضوعات.

وإني لأسأل الله –عز وجل– أن يُنير بصائرنا ويسدد آراءنا وأقوالنا، وأن يهدنا صراطه المستقيم؛ صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.. آمين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

الفصل الأول

ميلاد المسيح في المصادر الإسلامية

المبحث الأول: ميلاد المسيح في القرآن الكريم – المراحل والدلائل:

فصّل القرآن الكريم ميلاد المسيح –عليه السلام– بمراحله المختلفة، ولا نعني بهذه المراحل ما مرّت به الصديقة مريم –عليها السلام– في مرحلة الوضع فقط، بل ما قبله وما بعده؛ فالقرآن يعرض الموضوع عرضاً متكاملاً من تهيئة الوالدة إلى كلام الوليد، ولعل الحكمة في ذلك –والله أعلم– أن الحمل لما جرى على خلاف العادة صار ما قبله وما بعده متصلاً بدلالاته على توحيد الله –تعالى– وعلى غيره من أبواب ومسائل العقيدة(١).

ولعرض الميلاد في القرآن الكريم سماته الخاصة؛ حيث ذُكر اسم مريم صريحاً فيه أربعاً وثلاثين مرة(٢)، ضمتها إحدى وثلاثون آية، تناول الميلاد منها تسع آيات في سورة "آل عمران"، تشمل تهيئة مريم، وقبولها، وحسْن إنباتها، واصطفاءها(٣)، وطهارتها، وأمرها بالقنوت والعبادة، وبشارتها بالولد(٤)، وفي سورة "مريم" بقية الآيات، وهي ثماني عشرة آية في البشارة، فالنفخ، فالحمل، ثم المخاض، فالوضع، فالكلام، كما ترتبط قصة مريم ومولد المسيح بولادة يحيى –عليهما السلام–، وهو ارتباط متداخل في "آل عمران"، ومفهوم من سياقات أخرى في "مريم"، كما تعلق بالميلاد في غير سورتي "آل عمران" و"مريم"، النفخُ في سورة "الأنبياء"، وقد كُنّي فيها عن مريم بالإحصان والطهارة والعفة، مع الإشارة للآية فيها وابنها، وتكرر النفخ في سورة "التحريم" مع تزكيتها بالتصديق بالآيات والكتب والعبادة. ولن نستقرئ هذه المعاني العظيمة بتجزئة السور، وإنما بمنهج موضوعي مرتبط بالميلاد، فيما

---

(١) وخلق آدم من غير أم ولا أب أعظم آية من خلق المسيح من غير أب.

(٢) أشار السهيلي إلى أن من حِكَم ذِكر مريم باسمها الصريح في القرآن تأكيد عبوديتها هي وابنها –عليهما السلام–، وتأكيد أمومتها للمسيح حيث إنه لا أب فينسب إليها، رداً على مزاعم النصارى. انظر: التعريف والإعلام بما أُبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، ص١٤٣.

(٣) اختلف العلماء في هذا التفضيل، فقال بعضهم: المقصود نساء عالمي زمان مريم، وذهب غيرهم إلى عموم التفضيل، وتوقف آخرون. انظر: جامع البيان، لابن جرير، ٣٩٣/٦، و: معالم التنزيل، للبغوي، ٤٣٨/١، و: زاد المسير، لابن الجوزي، ٢٨٢/١، و: تفسير القرآن، لابن كثير، ٣٣/٢، و: شرح البخاري لابن بطال، ٤٨٥/٩، و: اللامع الصبيح، للبرماوي، ١٧/١٠، و: فتح الباري، لابن حجر، ٤٧١/٦، و: عمدة القاري، للعيني، ٢٣/١٦. قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله، بعد أن بيّن أوجه التقييد–: (ومريمُ ابنة عمران وآسيةُ امرأة فرعون، من أفضل النساء، والفواضلُ من نساء هذه الأمة كخديجة وعائشة وفاطمة أفضلُ منهما). الفتاوى الكبرى، ٣٧٩/٥.

(٤) انظر: جامع البيان، لابن جرير، ٣٣٣/٦ وما بعدها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

يلي من مطالب:

المطلب الأول: من البشارة إلى النفخ:

يبدأ القرآن الكريم ميلاد المسيح بالخبر عن تهيئة والدته؛ فإن أم مريم –امرأة عمران– لما نذرت حملها لخدمة بيت المقدس، وجاءت به أنثى –بعد أن رجته ذكراً للنذر(١)–، أمضت نذرها وأعاذت وليدتها وذريتها بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾(٢)، فزكت مريم؛ ولما استغرب زكريا –عليه السلام– وجود طعام لديها في غير وقته؛ أنبأته بأثر التوكل على الله، قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾(٣)، ولعلها إشارة لزكريا –وكانت زوجته، قريبة مريم(٤)، عاقراً– بأن الله يرزق مَن شاء ما شاء كيف شاء متى شاء، قال الله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾(٥)، فبُشّر بيحيى وهو يصلي في المحراب كما يرى مريم تُرزق في المحراب(٦).

ثم تلت ذلك مرحلةُ الاصطفاء، قال –تعالى–: ﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٧)؛ فأُرسل إلى مريم خير الرزقين والبشارتين، وسياق الآيات في سورة "آل عمران"، وترتيبها في سورة "مريم"، دالان على أن بشارتها تلت بشارة زكريا. وإذ أسندت بشارة "آل عمران" إلى الملائكة وأُسندت في "مريم" إلى جبريل –عليه

(١) انظر: جامع البيان، لابن جرير، ٣٣٤/٦، و: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٦٦/٤.
(٢) سورة آل عمران: ٣٧.
(٣) سورة آل عمران: ٣٧.
(٤) اختُلف في وجه قرابة امرأة زكريا لمريم؛ فقيل: أختها، وقيل خالتها، فعلى القول الأول يكون عيسى ويحيى –عليهما السلام– ابني خالة مباشرة، ويدل عليه ظاهر قول النبي –صلى الله عليه وسلم– عنهما، في حديث المعراج: (وهما ابنا خالة)، رواه البخاري، رقم (٣٤٣٠)، وبنحوه عند مسلم، رقم (٢٥٩)، وذكر ابن كثير –في البداية والنهاية، ٤١٣/٢– أنه قول الجمهور، وعلى القول الثاني –بأن امرأة زكريا خالة لمريم– تكون مريم ويحيى ابني خالة، وعيسى ابن بنت الخالة ليحيى، ويحيى ابن خالة الأم لعيسى، ويؤيد أصحاب هذا القول قولهم بأن امرأة عمران رُزقت بمريم على كبر، فهي وحيدتها، وأن اختها امرأة لزكريا ولدت يحيى بعد أن كانت عاقراً، ويكون قوله –عليه الصلاة والسلام–: (وهما ابنا خالة) على أن خالة الأم خالة للولد. وانظر: جامع البيان، لابن جرير، ٣٣٢/٦، و: فتح الباري، لابن حجر، ٣٦٨/٦.
(٥) سورة آل عمران: ٣٨.
(٦) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٩٠/٣.
(٧) سورة آل عمران: ٤٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

السلام-؛ ذهب بعض العلماء إلى أنه هو المقصود بالملائكة في "آل عمران"(١)، وهو محتمل لمكانته، لكن يحتمل أيضاً أن البشارة كانت من الملائكة مرةً كما في "آل عمران"، ومرةً من جبريل كما في آيات "مريم"، ويقوي هذا أن أحد الوجهين في المقصود بالملائكة في نداء زكريا على ظاهره(٢)، وإذاً فالبشارة في "آل عمران" بالنداء ممن شاء الله منهم، فلم يحصل لمريم فزع ولا خوف وإن استغربت، كما سبق إخبارها باصطفائها وتطهيرها ووصيتها بالعبادة، بخلاف ما في سورة "مريم" فبشارتها لم تكن بالنداء، وإنما أُرسل إليها جبريل ففزعت منه، ويؤيد تكرار البشارة ما ذكره بعض المفسرين بأن البشارة في "آل عمران" خارج المسجد، فإنها لما رجعت من سقي الماء، سمعت ملائكة تقول ما أخبر عنه القرآن في قوله -تعالى-: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٣)، فقال زكريا -عليه السلام-: إن لابنة عمران لشأناً(٤)، وأما بشارة جبريل في سورة "مريم" فكانت عند خلوتها(٥)، ويُفاد من قول زكريا أن بين البشارتين لمريم وقتاً طويلاً، بحيث تكون سمعت بشرى الملائكة ثم أتى الملَك بعد زمان بإنفاذها، ولا يرد على هذا تعجبها في كلا المرتين؛ فإن الولد من غير زوج من أعظم ما يخرج عن مألوف العادة، وهو مظنة التعجب وإن تكررت البشارة به.

ولا تختلف البشارة في الموضعين إلا في بعض التفاصيل؛ ففي "آل عمران" قال -تعالى-: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٤٦ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٦)؛ فالملائكة بشرت مريم بولد ذي صفات كريمة ويكلم الناس صبياً، فتعجبت إذ لا زوج لها، فأُجيبت بأنه أمر الله، وإذا قضى أمراً وقع، ومع أنها دفعت استغراب زكريا وجود الطعام لديها بأنه أمر الله؛ فإنها استغربت بشارتها بالولد؛ وسببه -والله أعلم- أن خرق العادة بالولد أعظم وأعجب منه بالطعام، ولهذا استغرب زكريا بشارته بالولد مع أنه سأله، لكنه

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني، ٥٠٨/١، و: روح المعاني، للألوسي، ١٤٨/٢.
(٢) انظر: النكت والعيون، للماوردي، ٣٨٩/١.
(٣) سورة آل عمران: ٤٢.
(٤) انظر: جامع البيان، ٤٠١/٦، و: الدر المنثور، للسيوطي، ١٩٥/٢.
(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٩٠/١١.
(٦) سورة آل عمران: ٤٥-٤٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

وقع منه لكبِره وعقم امرأته، وإن كانت آية البشرى بعيسى أعظم.

ولما اقتربت البشارة من التحقق فصّل القرآن الكريم الحدث، بما انفردت به آيات سورة مريم، يقول الله –تعالى–: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾[١]، لقد كانت مريم في بيت المقدس يدخل عليها أهلُها وزكريا الذي كَفّلها، فاعتزلت عنهم يوماً لتتطهر أو لأداء عبادة، فأرسل الله –عز وجل– إليها جبريل في هيئة رجل، فاستعاذت بالله وخوفته به، فأخبرها أنه رسول الله إليها ببشرى الولد، آية منه، فاستغربت لأنها لم تتزوج وليست بذات سوء، فأعلمها أنه أمر الله[٢]، فهدأت وصدقت بكلمات ربها وقدره، فنفخ الملَك في جيب درعها فبلغت النفخة رحمها فاشتملت وحملت بإذن الله[٣]، قال –تعالى–: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٤]، وقال –سبحانه–: ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾[٥]، ولعل استقلال النفخ عن الميلاد لأنه آية بذاته، ودلالة الآيات على التوحيد والقدر ظاهرة بتفرد الله –جل وعلا– بالخلق والملك والأمر والتدبير، ونفاذ مشيئته، ووقوع قدره الكوني، وكمال حكمته، وهي دالة على بشرية المسيح وأمه؛ فإن مريم لا تعلم الغيب، وهي تفرح بالولد وتحبل وتلد كالنساء، والمسيح بشر حُمل به وولد، ويتقلب في مراحل العمر حتى يرفعه الله إليه، كما أن في الإشارة إلى عيسى بالبنوّة لمريم وليس باسمه تأكيداً لبشريته، والقرآن ينوع في الدلالة على هذا المعنى، فتارة يذكر أن المسيح ابنُ مريم، وتارة أخرى يشير إلى أن مريم أمه، فهو –وأمه– من عباد لله، والآية فيه هي ما قضى الله وقدر من أن يُحمل به بنفخة الملَك، بإذن الله.

---

(١) سورة مريم: ١٦–٢١.

(٢) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي، ١٢٣/٣، و: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١٩٤/٥، و: فتح البيان، لصديق خان، ١٤٦/٨، و: أضواء البيان، للشنقيطي، ٣٨٦/٣.

(٣) انظر: جامع البيان، لابن جرير، ١٦٦/١٨، و: تفسير ابن أبي حاتم، ٤٦٦/٨، و: معالم التنزيل، للبغوي، ٣١٦/٣.

(٤) سورة الأنبياء: ٩١.

(٥) سورة التحريم: ١٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

المطلب الثاني: من الحمل إلى المخاض:

نالت البشارة بالهبة الزكية القدر الأكبر من خبر الميلاد، واشتركت آيات سورتي "آل عمران" و"مريم" في تفصيلها، مع ما ورد في سورتي "الأنبياء" و"التحريم" من النفخ الذي هو سبب ما قضى الله من الخلق الدال على إحاطة علمه وكمال قدرته وتمام حكمته، وتضمنت سورة "مريم" بقية مراحل وأحداث الميلاد. لقد نفخ الروح الأمين –بإذن الله– في درع مريم، فحملت بالمسيح، وإذ أدركت عِظَم الآية وأثرها في أهلها والناس، اعتزلتهم خشية اللائمة[١]، قال –تعالى–: ﴿ * فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾[٢]، ولا غرابة في ذلك فإنه نزل بها ما لا تدري كيف تدفع عن نفسها بسببه التهم، ويدل على عِظَم ما حزبها أنها لم تكتفِ باعتزال الناس وإنما اعتزلت الناس والمكان بعيداً عن بيت المقدس[٣].

وأمر آخر متعلق بالميلاد وهو أن الآيات لا تدل على مدة الحمل؛ ولذا اختُلف فيه؛ فذهب بعض العلماء إلى أنه لم يطل إلا بمقدار بلوغ مريم مكان عزلتها، ويدخل في ذلك مَن حدده بالساعات، فقيل ساعة، وقيل: ثلاث، وقيل: تسع، بحيث تُقابل كل ساعة شهراً، وذهب غيرهم إلى أن المدة أشهر، فقيل ستة أشهر، وقيل ثمانية أشهر، وقيل تسعة أشهر[٤]. والذي يظهر لي –والله أعلم– أن حمل مريم لم يكن مدة قصيرة –لا ساعات ولا أياماً– وإنما كان أشهراً طويلة؛ إذ لو كان حملها ووضعها بالساعات والأيام القليلة لم تجد من أهلها الاستغراب ولم يقابلوها بالإنكار؛ لأن غيابها سيكون في مدة لا يكون في مثلها حمل ووضع؛ ومن ثم فلن يظنوا أن الولد لها، وكان الحال أن يسألوها عنه بلا نكير، لكنها لما اعتزلتهم مدة طويلة ثم جاءت بالولد تحمله فهموا أنه ابنها، ولأنها لم تتزوج، وكانت فتاة طاهرة، استغربوا وأنكروا، ومن القرائن عليه ما أفاده بعض العلماء من قوله –تعالى–: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾[٥]، على أن "فأجآها" بمعنى: فاجأها[٦]؛ فإن المفاجأة تقع بعد استقرار حال؛ ولو أن الحمل

---

(١) انظر: الوسيط، للواحدي، ١٨٠/٣، و: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢٢١/٥.

(٢) سورة مريم: ٢٢.

(٣) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله–: (والجمهور على أن المكان المذكور بيتُ لحم، وفيه أقوال أُخر غيرُ ذلك). أضواء البيان، ٣٨٩/٣. وتبعد بيت لحم عن القدس ستة أميال، انظر: نزهة المشتاق، للإدريسي، ٣٦٢/١. على أن بيت لحم المعروفة اليوم، وثمة مَن يرى أنها أخرى، وستأتي إشارة إليه في آخر المبحث الأول من الفصل الثاني إن شاء الله.

(٤) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي، ١٢٥/٣، و: معالم التنزيل، للبغوي، ٢٢٩/٣.

(٥) سورة مريم: ٢٣.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ٣٢٤/٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

مدة قصيرة لم يختص المخاض بالمفاجأة، بل عمّ حالها، ويتصل بذلك أن الراجح –والله أعلم– أن مدة الحمل كانت تسعة أشهر؛ لأنه الغالب في كمال مدة الحمل، ولا صارف عنه.

وجرى ما قضى الله لمريم، ولما حانت الولادة اضطرتها لما ذكره الله في قوله –عز وجل–: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾(١)، ويبدو –والله أعلم– أنها تركت مكانها فألجأها ألم الوضع إلى جذع نخلة(٢)، فاجتمع وجع الولادة ووجع وحدتها ووجع قلبها فتمنت الموت(٣)، لكن أمرها كان خيراً بما قدّره الله لها.

المطلب الثالث: من الوضع إلى الكلام:

يسرّ الله –تعالى– لمريم الولادة، وكما اقترن المخاض والوضع بتمني الموت والنسيان اقترن بالولادة الفرج والطمأنينة، قال –سبحانه–: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِٰنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾(٤)؛ فإذ علمت مريم أن ألم الولادة ليس بأشد مما ستُقابل به تمنت الموت، لكن النداء طمأنها. واختُلف في المنادي على جبريل وعيسى –عليهما السلام–(٥)، ورجح الطبري أنه عيسى لتعدد وقُرب ذكره، وأيّده بأن مريم لما أتت قومها لم تتكلم وإنما أشارت إلى الصبي؛ بما يشعر بعلمها أنه سيتكلم، ولو أن المنادي جبريل لانتُظر إخباره لها بذلك(٦)، وهذا وجيه، لكن يبدو لي –والله أعلم– أن النداء من جبريل؛ لأن الحوار كان بينه وبين مريم، وأن تأتي التسلية منه أظهر، فكما نزل بالبشارة والنفخ فقد ناداها عند الوضع للتسرية، وكلام عيسى آية بذاته، والنداء أُسند لضمير، وطريقة القرآن أن يظهر آياته، فلو أنه المنادي لكان حدثاً عجيباً يُصرّح به، لكن لما كان الكلام ممن يكون منه –وهو جبريل– أُسند لضمير، كما أن كلام المسيح آية لبراءة أمه ونبوته وبشريتهما وعبوديتهما، فيناسب أن يكون عند مقتضاه، أي عند قوم أمه، والداعي قبله طمأنتها فيحصل بنداء المَلَك، خاصة أن الخبر بكلامه تقدم

(١) سورة مريم: ٢٣.
(٢) انظر: جامع البيان، لابن جرير، ١٧٠/١٨.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٩٢/١١، و: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٨٥/١٦، و: تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٤٩١.
(٤) سورة مريم: ٢٤–٢٦.
(٥) انظر: جامع البيان، لابن جرير، ١٧٢/١٨، و: زاد المسير، لابن الجوزي، و: مفاتيح الغيب، للرازي، ٥٢٧/٢١.
(٦) جامع البيان، ١٧٤/١٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

في قوله –تعالى–: ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[١]، وفيه أن كلامه للناس في مشهد، ولم يقل: ويتكلم في المهد، كما أن نداء الملَك من مكان أدنى من مكانها هي وابنها، قال –جل شأنه–: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[٢].

لقد طمأنها جبريل بتهيئة الله لها بلطفه ما تُسر به فلا تحزن ولا تخاف، وتأخذ بما تتقوى به فتهز جذع النخلة، وأرشدها إلى ما تدفع به السؤال بأنها نذرت ألا تتكلم؛ فمن دينهم أن من اجتهد في العبادة صام عن الكلام [٣]، ثم أتت قومها، قال – تعالى–: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[٤]، وقد وقع ما خشيته مريم؛ فإنها لما جاءت قومها تحمل ولدها[٥] استُقبلت بالإنكار، وإذ ليس لديها ما تدفع به، وكان الملَك أوصاها بعدم الكلام؛ أشارت إليه إلهاماً أو لما أُخبرت به في البشارة أولاً بأنه سيكلم الناس، فوقعت آية أخرى مع الاصطفاء والتطهير والبشارة والنفخ والتسرية، بكلام الصبي وإجابة قوم أمه عنها، ومع إيجاز قوله الذي ذكره القرآن إلا أنه تضمن أصولاً عقدية وتعبدية عظيمة بدأت بأصل التكليف وهو التوحيد، وخُتمت به، وهي **أولاً**: الاعتراف لله بالعبودية قطعاً لأسباب الشرك، وإبطالاً للغلو في المولود، **ثانياً**: إخباره إياهم بوظيفته وهي النبوة مؤيداً بالكتاب، ثالثاً: البركة التي تلازمه، **رابعاً**: قصد الله وطلبه أبداً، ثم ذكر عبادتين عظيمتين هما الصلاة والزكاة، **خامساً**: البر بالوالدة، **سادساً**: الإقرار بالطبيعة البشرية بجريان المراحل الثلاث عليه، بما يرد على مزاعم النصارى فيه؛ فهو مولود، والله –تعالى– لم يلد ولم يولد، وهو سيموت، والله حي لا يموت، وهو سيبعث، والله هو الذي يبعث الناس ويحشرهم إليه، كما أن فيه تقريراً للإيمان باليوم الآخر من الموت والنشور.

وأفاد بعض العلماء من تأكيد إتيان مريم بعيسى بـــ"تحمله" دلالة على بشريته؛ إذ قد يُتوهم أنه لما كان تكلم فإنه جاء

---

(١) سورة آل عمران: ٤٦.
(٢) سورة المؤمنون: ٥٠.
(٣) انظر: جامع البيان، لابن جرير، ١٨/١٨١، ١٨٤.
(٤) سورة مريم: ٢٧-٣٣.
(٥) ذكر بعض المفسرين أن مريم نفست أربعين يوماً في غار، ثم خرجت لقومها. انظر: معالم التنزيل، للبغوي، ٣/٢٣٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

يمشي، (فقُطع ذلك التوهم، وأُعلم أنه كسائر الأطفال)[١]، ويقابل كلام المسيح في المهد كلامه كهلاً، قال –تعالى–: ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٢]، (وإن كان الغالب من أمر الناس أنهم يتكلمون كهولاً وشيوخاً؛ احتجاجًا به على القائلين فيه من أهل الكفر بالله من النصارى الباطل، وأنه كان مولوداً طفلاً ثم كهلاً يتقلب في الأحداث، ويتغير بمرُور الأزمنة عليه والأيام، من صِغر إلى كبر، ومن حال إلى حال) [٣].

وأما تسميته بعيسى فلم يأتِ له ذكر في سورة "مريم"، ولعل السبب أن البشارة الأولى التي في سورة "آل عمران" كان فيها إخبار لأمه بذلك، والله أعلم.

المبحث الثاني: ميلاد المسيح في المصادر الإسلامية غير القرآن الكريم:

تضمنت المصادر الإسلامية –غير القرآن الكريم– أطرافاً من خبر ميلاد المسيح –عليه السلام–، ومن هذه المصادر مصادر أصلية هي السنة النبوية، ومصادر فرعية هي كتب التاريخ، وأما كتب التفسير فسبق الاستعانة بها لتقريب معاني الموضوع في القرآن، ولم تعرض المصنفات في الملل والأديان للميلاد ابتداء لاهتمامها بتعقب المصادر المخالفة[٤].

المطلب الأول: الميلاد في السنة النبوية:

جاء في بعض نصوص السنة إشارات تتعلق بميلاد المسيح، منها استثناؤه من طعنة الشيطان لمواليد بني آدم، يقول النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (ما من مولود يولد إلا نَخَسَه[٥] الشيطان، فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان، إلا ابن مريم وأمه، قال أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[٦])[٧]، وفي رواية أن النبي –صلى الله عليه

(١) زاد المسير، لابن الجوزي، /١٢٨.
(٢) سورة آل عمران: ٤٦.
(٣) جامع البيان، لابن جرير، ٤١٨/٦.
(٤) انظر على سبيل المثال: الملل والنحل، للشهرستاني، ٢٦٦/١، و٢٧١، و: الفِصَل، لابن حزم، ٢٦٤/١، و٣١٧.
(٥) قال ابن فارس: (النون والخاء والسين: كلمة تدل على بَزْل شيء بشيء حاد، وَنَخَسَه بعودٍ أو حديدةٍ نخساً). معجم مقاييس اللغة، ٤٠٥/٥، مادة (نخس). وانظر: لسان العرب، لابن منظور، ٢٢٨/٦.
(٦) سورة آل عمران: ٣٦.
(٧) رواه مسلم، رقم (٢٣٦٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

وسلم- قال: (كلّ بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد، غير عيسى بن مريم؛ ذهب يطعن فطعن في الحجاب)[١].

وصلة هذه الفضيلة -التي خُصّ بها عيسى وأمه، عليهما السلام[٢]- بالموضوع، أن ولادة المسيح كولادة غيره من البشر، وأنه جرى عليه ما يجري على الناس من أطوار الحمل وما يكون للمولود عند ولادته، إلا ما استثني من ذلك كعصمته وأمّه من مسّ الشيطان وطعنته التي تكون على بني آدم، استجابة لدعوة أم أمه -امرأة عمران- لما أعاذت ابنتها وذريتها من الشيطان الرجيم، فأعاذ الله -عز وجل- مريم وابنها حساً ومعنى، ولهذا فإنه لما ذهب الشيطان يريد طعن المسيح عند ولادته لم يسلط عليه وإنما ضرب الحجاب[٣].

ويتعلق بميلاد المسيح في السّنة أيضاً، حديث آخر يمثل أصلاً في كيفية التعامل مع الشبهات حول عصمة القرآن الكريم من التعارض، وهو حديث المغيرة بن شعبة مع نصارى نجران، حيث يقول -رضي الله عنه-: (لما قدمت نجران سألوني[٤]: إنكم تقرؤون ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾[٥]، فلما قدمت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سألته عن ذلك، فقال: إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم)[٦]؛ فإن غاية هؤلاء النصارى الطعن في القرآن الكريم بإلقاء الشبه حول أخباره التي منها الميلاد باتهامه بالتعارض مع الوقائع التاريخية، وكان أعظم ما زعموه تعارضاً وموصلاً لشبههم سؤالهم عن الجمع بين هارون ومريم في الأخوّة مع طول ما بينهما من الزمن؛ حيث فهموا أن المقصود بهارون في الآية النبيُّ أخو موسى -عليهما السلام-، بما يشكل على من لا يعلم جوابه ولا وجه الرد عليه، مع أن له تخريجاً ووجهاً صحيحاً حتى على ظاهره كما سيأتي، ودل على الاستشكال

---

(١) رواه البخاري، رقم (٣٢٨٦). وقد ذكر الحافظ ابن حجر الأوجه في اقتصار بعض الروايات في العصمة على المسيح، بأنه اختص بالعصمة من الطعن واشترك وأمه في العصمة من النخس، أو أن رواية اشتراكهما في العصمة إعلامٌ بما زاد عن رواية الانفراد بها، لكنه رجح أن السبب راجع إلى حفظ الرواة، فقال: (والذي يظهر أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر، والزيادة من الحافظ مقبولة)، فتح الباري، ٤٧٠/٧، وردّ أن يكون المعنى على اختصاص المسيح بما تدل عليه رواية الانفراد وأن العطف -في رواية الاشتراك- من العطف التفسيري كقول القائل: أعجبني زيد وكرمه، ووصفه بأنه تعسف شديد. انظر: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(٢) قال النووي: (هذه فضيلة ظاهرة، وظاهر الحديث اختصاصها بعيسى وأمه، واختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها). شرح مسلم، ١٥/ ١٢٠.

(٣) انظر: التوضيح، لابن الملقن، ٢١٠/١٩، و: عمدة القاري، للعيني ١٧٦/١٥، و: شرح المصابيح، لابن الملَك، ١٧٤/٦.

(٤) يعني النصارى.

(٥) سورة مريم: ٢٨.

(٦) رواه مسلم، رقم (٢١٣٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

قول المغيرة –في رواية–: (فلم أدرِ ما أجيبهم به)[١]، فلما سأل عن ذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– أجابه إجابة شافية تقطع أصل الشبهة وتبطل مقالة التشغيب وتبين حقيقة المقصود بما لا منازع فيه.

والرد النبوي الكريم على الشبهة المزعومة متوجه إلى أحد ثلاثة معاني: **الأول**: أن مريم نُسبت إلى أخ لها في النسب، شقيق أو لأب، اسمه هارون، سُمّي باسم النبي هارون أخي موسى على ما جرت عليه عادتهم في تسمية أبنائهم بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم، **الثاني**: أن النسبة لهارون على ظاهرها، أي أن مريم نسبت إلى النبي هارون أخي موسى توسعاً بنسبة المخاطب إلى أصل وإن لم يكن من نسله، كما يقال للمضري: يا أخا مضر مثلاً، **الثالث**: أنها نُسبت إلى رجل من صالحي قومها اسمه هارون، لكنه ليس بأخ لها في النسب، وأنه سُمّي بهارون أخي موسى على ما تقدم من عادتهم، وملحظ التوسع في التسمية هو الشبه والاشتراك في الصلاح والتقوى؛ وهو جار –أيضاً– على عادة العرب من تسمية النظير والمشابه أخاً، وقد قال الله –تعالى–: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾[٢].

ويجمع الأوجه الثلاثة معنى الصلاح والتقوى، وليس على أنها أخته أو أنها من نسله؛ ولهذا فإنهم لما رأوا مع مريم ولداً أتت به تحمله ظنوا بها، فتعجبوا وصدروا إنكارهم بتذكيرها بطيب منبتها وصلاح أهلها أباً وأماً، وأخاً صالحاً لها أو رجلاً صالحاً من حاضري زمنها أو النبي الصالح من سالف قومها، كأنهم قالوا: يا شبيهة هارون في الصلاح والتقوى؛ كيف يكون هذا، إضافة إلى صلاح أبيك وأمك، فيكون المشترك بينها وبين هارون النبي، أو هارون الصالح من قومها أخاً كان أم قريباً، هو التساوي في صفة الصلاح، على أن التساوي في الصفة بينها وبين هارون النبي محمول على مطلق الاشتراك، وهو في النبي أتم وأكمل، وأما في الرجل الصالح من قومها فالتساوي على الإمكان أو تكون فيه أتم وأكمل، وعلى أن المقصود بهارون هو أخوها فالجامع هو التساوي في الأخوة مع التساوي في الصلاح أو التفاضل فيه[٣].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣١٥٥)، والنسائي رقم (١١٣١٥)، وابن حبان رقم (٦٢٥٠)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: (إسناده حسن)، صحيح ابن حبان، ١٤٣/١٤.

(٢) سورة الزخرف: ٤٨.

(٣) انظر: شرح السنة، للبغوي، ٣٢٩/١٢، و: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص١٤٤، و: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، للقرافي، ص٢٠٩، و: الانتصارات الإسلامية في كشف الشّبه النصرانية، للطوفي، ٣٠٣/١، و: تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٤٧٧/٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر ٢٠٢١م)

المطلب الثاني: الميلاد في كتب التاريخ:

تناولت كتب التاريخ الإسلامي ميلاد المسيح –عليه السلام– في ضوء ما جاء في القرآن والسنة، وتضمن بعضها أخباراً من تراث أهل الكتاب، فما كان في مصنفات التاريخ فيه من حق فمستمدّ من الوحي، وما كان فيها من باطل فهو من الإسرائيليات. وتبدأ كتب التاريخ –عادة– موضوع الميلاد بالبشارة التي تلقتها مريم من الملائكة بالولد، وفي هذه المرحلة يستنبط بعض المؤرخين أن مريم فهمت مما ألقي إليها، ودل عليه قوله –تعالى–: ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾[١]، أنها ستواجه شدة عظيمة[٢]، كما ذكر آخرون تفصيل البشارة الثانية التي تضمنت النفخ، وهو أن مريم كانت إذا نفد ماؤها خرجت تستعذبه مع ابن عم لها اسمه يوسف يشاركها في خدمة المسجد، فنفد ماؤها يوماً فسألت يوسف أن يخرج فأخبرها أن عنده من الماء ما يكفيه، فانطلقت حتى إذا دخلت المغارة التي فيها الماء وجدت جبريل في صورة بشر، فاستعاذت منه، فأخبرها أن الله –تعالى– أرسله إليها بالبشرى بالولد، فاستغربت لأنها لم تكن ذات زوج، فأخبرها أنه أمر الله ولا راد له[٣].

وهنا يلاحظ اختلاف الروايات في ظروف ومكان لقاء جبريل بمريم؛ ففيما تذكر كثير من التفاسير أنه كان في ناحية المسجد، عند اتخاذها حجاباً لطهارةٍ أو لأداء عبادة؛ تشير الرواية التاريخية إلى أن البشارة كانت في مغارة الماء، وهو راجع إلى اختلاف موارد التفاصيل في كتب التاريخ، لكن ظاهر الآيات أن مجيء الملَك إلى مريم بالبشرى كان عند اتخاذها حجاباً، وحجاب المغارة غير متخذ منها، وهو ما تؤكده روايات تاريخية أخرى بأن اعتزالها كان عن قصد منها وذلك وراء الجدار شرقي المسجد[٤].

كما اختار بعض المؤرخين أن المخاض والولادة بعد النفخ مباشرة لقوله –تعالى–: ﴿ * فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۝٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾[٥]؛ استدلالاً بالتعقيب الفاء[٦]؛ لكن ابن كثير رده واختار أن الحمل تسعة أشهر؛ إذ لو كان الأمر بخلاف ذلك، لكان آية مذكورة، وأما التعقيب فإنه

---

(١) سورة مريم: ٢١.
(٢) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ٤٣٩/٢.
(٣) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ٢٧٤/١.
(٤) انظر: تاريخ الأمم والملوك، للطبري، ٥٩٩/١.
(٥) سورة مريم: ٢٢–٢٣.
(٦) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ٢٧٦/١، و: تاريخ دمشق، لابن عساكر، ٨٣/٧٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

لا دليل فيه؛ لأن تعقيب كل شيء بحسبه، كما قال -تعالى-: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾(١)؛ فاخضرار الأرض لا يعقب المطر وإنما بعده بزمن(٢).

وإذ رجح بعض المؤرخين أن المنادي بالفرج هو جبريل(٣)، ذكر ابن كثير رواية تتضمن تفصيلاً في الموضوع، وهو أن حمل مريم شاع في بني إسرائيل، وأن الزنادقة اتهموها بابن عمها يوسف النجار، فدخل على أهلها وآل زكريا بذلك الكرب والحزن، فتوارت عنهم واعتزلت في مكان بعيد(٤)، وهو ما يدل على أمور هي، **أولاً**: أن اعتزالها لم يكن بمجرد حصول الحمل بعد نفخ الملَك بأمر الله، وإنما بسبب الهمز واللمز في حقها، فاعتزلت لتجنب قالة السوء ولما أصابها من الهم والحزن اللذان جعلاها تتمنى الموت وأن تكون نسياً منسياً، **ثانياً**: أن الحمل لم يكن مدة قصيرة، وإنما كان مثل مدة غيرها من النساء، بما جعله يظهر حتى تكلم أهل السوء، فأدخل على أهلها الكرب، وجعلها تعتزل بيت المقدس، ولو كانت مدة قصيرة لما ظهر شيء ولحصل الوضع بعده مباشرة، وسيكون ذلك آية بذاته دالة على طهارتها وبراءتها، وفي ذلك رواية أخرى أن يوسف لاحظ حمل مريم فسألها فأخبرته -في سياق حوار طويل- أنه أمر الله الذي يفعل ما يشاء، وأنه كما خلق آدم وحواء من غير أب فقد خلق ما في بطنها بكلمة منه، ولو كان الحمل ساعة لم ينتبه إليه، وتشير رواية ثالثة إلى أن قوم مريم افتقدوها وبحثوا عنها، فلما جاؤوا إلى المكان الذي اعتزلت فيه رأوا أنواراً ووجدوا عندها ولداً فأنكروا عليها، لكن ابن كثير يضعفها بما جاء في القرآن الكريم من أنها هي التي أتت بولدها إلى قومها تحمله(٥).

ومن وجه آخر وأخير، فقد تناول بعض المؤرخين نسب مريم عند الإشارة لحوارها مع قومها بعدما مجيئها إليهم بابنها واستغرابهم منها وإنكارهم عليها، بما يتضمن الرد على شبهة النصارى المتقدمة في جمع مريم وهارون في الأخوّة مع طول ما

(١) سورة الحج: ٦٣.
(٢) انظر: البداية والنهاية، ٤٤٣/٢.
(٣) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي، ١٩/٢، و: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ٢٧٦/١. ويلاحظ أن ابن جرير الطبري لم يذكر في تاريخه -تاريخ الأمم والملوك، ٦٠٠/١- غير هذا الوجه، مع أنه رجح في تفسيره أن المنادي جبريل كما سبقت الإشارة؛ فإما أنه اقتصر في التاريخ على رأي غيره، أو أن اجتهاده في المسألة تغير، وإذا كان كذلك فهذا هو رأيه الأخير؛ فإن كتابه في التاريخ متأخر عن كتابه في التفسير؛ إذ فرغ من جامع البيان سنة ٢٩٠هـ، وفرغ من كتابة تاريخه -مع عرضه عليه- في حدود سنة ٣٠٣هـ. انظر: إرشاد الأريب، (معجم الأدباء)، لياقوت الحموي، ٤٤٢/٦، و٤٤٣.
(٤) انظر: البداية والنهاية، ٧٩/٢.
(٥) انظر: المصدر السابق، ٤٤٦/٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

بينهما، وأن النسبة على التوسع للاشتراك في الصلاح، لكنهم اختلفوا فذهب بعضهم إلى أن مريم من نسل هارون أخي موسى، فالتوسع مبني على أصل وإن تقدم(١)، وذهب آخرون إلى أنها ليست من نسل هارون النبي وإنما من سبط يهوذا بن يعقوب، وأما هارون فمن ولد لاوي بن يعقوب، وكلاهما من نسل سليمان –عليه السلام–، وعللوا النسبة إلى هارون على الوجه الثاني السابق في الإجابة عن الشبهة، وهو أنها جارية على عادتهم في التوسع في النسبة إلى الصالحين ممن تجمعهم بهم قرابة وإن لم تكن قرابة البنوّة(٢).

الفصل الثاني

ميلاد المسيح في المصادر النصرانية

المبحث الأول: الميلاد في الأناجيل القانونية:

يُفاجأ الدارس لميلاد المسيح في المصادر النصرانية أنه لم يُذكر إلا في إنجيلين من الأناجيل القانونية التي أقرتها المجامع الكنسية(٣)، وهما إنجيلا متّى ولوقا، وأما إنجيلا مرقس ويوحنا فلم يرد فيهما عنه شيء(٤)، وإذ عُنيت الأناجيل بحياة المسيح؛ فإن السؤال ملح عن عدم شمول ذلك أعظم الآيات فيه وهي ميلاده(٥)!

ولأن ثمة أبعاداً –ستأتي في المبحث الثالث– هي –في رأيي– وراء عدم ذكر الميلاد في أول وآخر الأناجيل، ومجيئه بسمات معينة في الإنجيلين الثالث والرابع(٦)، وفي الأناجيل المخفية كذلك، فسنفحص رواياتها ونصوصها للوقوف على حقائقها ودلالاتها(٧).

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك، للطبري، ١/٦٠٠.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ١/٢٧٧.

(٣) انظر في التعقب النقدي لتاريخ ومعايير تقنيين العهد الجديد في الأناجيل الأربعة والأسفار والرسائل: تاريخ الكتاب المقدس بين إشكالية التقنيين والتقديس، للدكتور يوسف الكلام، ص٩٩-١١٢.

(٤) انظر: ميلاد يسوع المسيح في الأناجيل، للدكتور عبدالله باوادي، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، مج ٢٨، ع١، ١٤٤١هـ، ص١٩٦.

(٥) انظر: التأثير المسيحي في تفسير القرآن، للدكتور مصطفى بو هندي، ص١٦٠.

(٦) يرجح مؤرخو الكتاب المقدس عند النصارى أن أول إنجيل كُتب هو إنجيل مرقس تلاه إنجيل متّى ثم إنجيل لوقا وأخيراً إنجيل يوحنا. انظر: تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين حتى اليوم، لستيفن ميلر وروبرت هوبر، ، ص٧٢.

(٧) سألتزم في رسم الأناجيل القانونية والمنتحلة بما في الترجمات، وأنبه إلى الأخطاء اللغوية في الحواشي.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

المطلب الأول: الميلاد في إنجيل متّى:

تضمن إنجيل متّى[١] عدداً من روايات الميلاد؛ فبعد أن أنهى متّى نسب المسيح إلى داود –عليهما السلام– من طريق يوسف النجار[٢]، قال: (**أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا: لما كانت مريم أمّهُ مخطوبةً ليوسف قبل أن يجتمعا وُجدت حُبلى من الروح القدس، فيوسف رجُلُها إذ كان باراً ولم يشأن أن يُشْهِرَها أراد تخْليتها سراً، ولكن فيما هو متفكر في هذا الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حُلم قائلاً: يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حُبِل به فيها هو من الروح القدس، فستلد ابناً وندعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم، وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي: هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمّانُوئيل الذي تفسيره: الرب معنا، فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته، ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر، ودعا اسمه يسوع**)[٣].

كان متّى حريصاً على إثبات زواج مريم بيوسف لإكساب المسيح علاقة بآل داود، والعلامة لإنجيله أن العهد الجديد امتداد للعهد القديم وأن المسيح موسى الجديد[٤]، لكن كون رسالة المسيح امتداداً لموسى، ليس بمعنى صحيح من وحدة العقيدة كما قال الله –تعالى–: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٥]، وإنما وفق عقائدهم، وفي ضوئه كان مسرد الرواية عن طبيعة المسيح ووظيفته.

ويحيط نصُ متّى مريم بمعانٍ موهمة، بل إنه يقترب من أن يبعث بدلالات غير سوية؛ فبدل أن يبطل الشك بتأكيد طهارتها واصطفائها، يفتتح بأنها "وُجدت حُبلى"؛ و"وجد" للشيء الضائع[٦]، ويزيد الإيهام بناؤه للمجهول، وسبقه بـ"قبل أن يجتمعا"،

---

(١) كُتب إنجيل متّى بين سنتي ٨٠ و٩٠م. انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، لسعيد حبيب، ص٢٤٤.

(٢) انظر: إنجيل متى، ١: ١–١٧.

(٣) المصدر السابق، ١: ١٨– ٢٤.

(٤) انظر: دراسة في الإنجيل كما راوه متّى، للأب أسطفان شرينتييه، ص١٦، و: التوراة والإنجيل والقرآن، لموريس بوكاي، ص٨٠، و:مدخل العهد الجديد، لجون درين، ص١٩٦، و: من الأناجيل إلى الإنجيل، للأب أتيان شرينتييه، ص٤٩.

(٥) المائدة: ٤٦، وقال –تعالى–: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾. المائدة: ٥٠.

(٦) قال ابن فارس: (الواو والجيم والدال، يدل على أصل واحد، وهو الشيء يُلفِيه، ووجدتُ الضّالة وجداناً). معجم مقاييس اللغة، ٨٦/٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

وفي إسناد الحبل للروح القدس –دون بيان أنه نفخ في جيب درع مريم– إيهام أيضاً، نظراً للطبيعة المادية لدلالات النصوص الإنجيلية عندهم(١)!

وتتأخر الحقيقة إلى ما بعد فرية شك يوسف في مريم وإضماره طلاقاها لئلا يُعلم أمرها، وبه يفسرون معنى صلاحه(٢)، مع أن حواراً طويلاً جرى –على التنزل في الموضوع– بينه وبينها يسألها فيه –بطريقة غير مباشرة– عن حملها، فتجيبه بأنه أمر الله وأنه على كل شيء قدير، وتذكّره بخلق آدم وحواء، فيطمئن ويعلم أنها اصطفيت لشأن عظيم، وهو من روايات أهل الكتاب في بعض التفاسير(٣). ومن الملاحظ أن الحقيقة لا تأتي بمجيء الملَك لمريم وحوارها معه وإنما برؤيا منامية وقعت ليوسف، ومريم عن هذا غائبة، كما أنه يشير إلى مشكلة في تفسير الشك في الراوية، أي أن لظاهره مدلولاً معيناً في حين أن لتفسيره اتجاهات وأوجهاً عدة، يتجاوز بعضها الظاهر إلى ما يتوافق مع الرؤية الكنسية الخاصة في الميلاد(٤)!

وفيما يتعلق بالولادة فق تمت –وفق الرواية– طبيعية، دون ذكر مراحلها، ويسبقها بما يُفترى من الوهية المسيح وأنه جاء بالخلاص، لكن مفسري الإنجيل لا يجدون ما يؤيدهم في الأمرين إلا أن الولادة كانت بسبب الروح القدس(٥)! ولا جد فيها إلا الإشارة إلى أن ما يُزعم من طبيعته ووظيفته كانتا ضمن بشارة سابقة في العهد القديم(٦)، بما يؤكد أن غاية هذا الإنجيل تصوير العهد الجديد أنه امتداد للعهد القديم.

---

(١) انظر: مريم بحسب الأناجيل، لجون بول ميشو، ص٣٠، وص٤٣، و: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، عرّبه عن اللاتينية المطران حبيب باشا وزملاؤه، ص١١٦.

(٢) جاء في بعض ترجمات إنجيل متّى: (فعزم على أن يطلقها سراً). إزائية الأناجيل الأربعة، للأب صبحي حموي اليسوعي، ص٢٦. ويفسرونه بأن يوسف كان أمام أحد خيارين في شأن مريم: إما أن يحاكمها علماؤهم، أو يطلقها بلا سبب حتى لا يشهر أمرها، وهو ما اختاره. انظر: تفسير إنجيل متّى، للقس أنطونيوس فكري، ص١٣.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١٩٧/٥.

(٤) رغم وضوح الرواية على شك يوسف بمريم وإرادة طلاقها، إلا أن بعض التفسيرات تقول بأنه علم ببتولية الحمل، وأن برّه كان سؤال الله أن يتولى تسمية المولود! انظر: دراسة في الإنجيل كما رواه متّى، للأب أسطفان شرينييه، ص٢٣.

(٥) انظر: التفسير الكامل للكتاب المقدس، لمتّى هنري، ص١٣.

(٦) انظر: ولادة المسيح وإشكالية التثاقف اليهودي المسيحي، ليوسف هريمة، ص١٧٧، و: مريم بحسب الأناجيل، لجان بول ميشو، ص٢٧، وص٣١. وقد أجرى هريمة مقارنة نقدية بين رواية متّى والنص التوراتي في الموضوع، ثم أشار إلى التغييرات التي أجريت على النص في الرواية الإنجيلية بناء على التأثر بالمورد اليهودي! انظر: ولادة المسيح، ص١٨٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

المطلب الثاني: الميلاد في إنجيل لوقا[١]:

ليس إنجيل لوقا –حسب الترتيب التاريخي– الإنجيل الأول، وإنما الثالث، ومع ذلك حوى أكثر ما في المصادر النصرانية في الميلاد، وسبب ذلك –أغلب الظن– طبيعة موارده؛ فلوقا لم يكن من تلاميذ المسيح، ولم يره، فاعتمد على الروايات الشفهية، ورأى أن يكتب ما سمع ويعيد كتابة ما في المصادر بعد تدقيقه[٢] –وفق عقائدهم الباطلة في المسيح–! وسنعرض الميلاد في هذا الإنجيل من خلال المراحل الآتية:

أولاً: البشارة بالحمل:

يبدأ خبر الميلاد بما يلي: (**وفي الشهر السادس أُرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم، فدخل إليها الملاك وقال: سلامٌ لك أيتها المنعم عليها! الرب معك، مباركة أنتِ في النساء، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية! فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدتِ نعمة عند الله، وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتُسمِّينه يسوع؛ هذا يكون عظيماً وابنَ العليّ يُدعى ويعطيه الرب الإله كرسيَّ داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية، فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرف رجلاً، فأجاب الملاك: الرّوح القُدس يَحِلّ عليك وقوة العليّ تظلّلك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الإله، وهو ذا أَلِيصَاباتُ نسيبتكُ أيضاً حبلى بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوّة عاقراً، لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله، فقالت مريم: هو ذا، أنا أمةُ الرب؛ ليكن لي كقولك**)[٣].

وإذاً ترتبط بشارة مريم بالولد بحمل قريبتها أَلِيصَابَات[٤] –امرأة زكريا–؛ فالشهر السادس المشار إلى وقوع البشارة فيه هو من الحمل بيحيى –عليه السلام–، وكانت أليصابات أخفت حملها خمسة أشهر لتستيقن فتظهر بما يسرها[٥]، لكن الرواية لا

(١) أنهى لوقا إنجيله في حدود عام ١٠٠م تقريباً. انظر: تاريخ الكتاب المقدس، لستيفن ميلر وروبرت هوبر، ص٧٥.
(٢) انظر: دائرة المعارف الكتابية، ١/٤٥٠.
(٣) إنجيل لوقا، ١: ٢٦–٣٨.
(٤) ومعناها: عابدةُ الله. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٣٩.
(٥) انظر: إنجيل لوقا، ١: ٢٤–٢٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

تذكر في تهيئة مريم واصطفائها شيئاً، ولا ما يدل على بشارة سابقة، وتشير إلى ما لا سبيل للتحقق منه وهو الفرق بين ميلادي يحيى وعيسى –عليهما السلام– إذ يكون بينهما ستة أشهر، وخطبة يوسف لمريم لا دليل عليها، بل الأمر بخلافها؛ فمريم منذورة ومتفرغة للعبادة، والراجح أن المكان هو القدس لا الناصرة؛ ففضلاً عن بعض الإشارات التاريخية بعدم وجود الناصرة زمن المسيح(١)؛ فبيت المقدس هو الذي نذرت امرأة عمران ما في بطنها لخدمته، وفيه المحراب الذي يأتي الرزق لمريم فيه، وفي شرقيه كان مجيء الروح القدس إليها، ولم توضح الرواية طبيعة الملَك عند دخوله، وإن دلت القرينة على أنه في صورة رجل؛ فالاضطراب كان من البشارة والتحية، ولو دخل بصورته لأُشير لفزعها منها، وليس في الخبر تعوّذ مريم من الرجل وتخويفه بالله، وهو يتضمن الإعلام باسم المولود.

وتركز الرواية على طبيعة المسيح الإلهية المزعومة، وإلحاقه بآل داود، ليجتمع فيه ما يفترونه من أن (مما تقوم به عظمة المسيح أربعة أمور: طبيعته الإلهية كما تدل عليه تسمية "ابن العلّي"، الثاني: تسلسل طبيعته البشرية من أعظم الملوك كما يظهر من قوله: "داود أبيه"...، الثالث: اتساع مملكته ودومها، الرابع: صفاته الشخصية...) (٢)، والرواية تفتري أن نسبة الولد لله – تعالى الله– لا يثير إنكار مريم، لكنها تتعجب من حملها وتسأل عنه، ويحمل الجواب إيحاءات مقلقة وغير مناسبة للطبيعة المادية للمعاني كما تقدم!

ثانياً: البشارة والاعتزال:

ثم يورد لوقا نصاً في البشارة بذهاب مريم إلى قريبتها لتخبرها بما جرى، ويقرر مضمونه ما سبق من عقائد: (**فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال في مدينة يهوذا، ودخلت بيت زكريا وسلمت على أَلِيصابات، فلما سمعت أَلِيصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها ترحيباً بحمل مريم وامتلأت من الروح القدس، وصرخت بصوت عظيم وقالت: مباركة أنتِ في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك، فمن أين لي هذا أن تأتيني أمُّ ربي؟ فهو ذا حين صار صوت سلامك في أذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني، فطوبى للتي آمنتْ أن يتمّ ما قيل لها من قِبَل الرب، فقالت مريم: تُعظِّمُ نفسي الربّ، وتبتهجُ روحي بالله مخلّصي؛ لأنه نظر إلى اتّضاعِ أمته، فهو ذا منذ الآن جميع الأجيال تُطَوّبني(٣)؛ لأن القدير صنع**

(١) يرى بعض علماء الآثار أن الناصرة لم تكن موجودة زمن المسيح، لكن الخيال الشعبي حريص على ربط الأحداث بالمكان. انظر: ألغاز الإنجيل، لفراس السواح، ص٦٠. وسبق أن إنجيل لوقا يعتمد على الروايات الشفهية.
(٢) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، للدكتور وليم إدي، ص١٤٧.
(٣) أي تغبطني. انظر: دائرة المعارف الكتابية، ١٣٠/٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

بي عظائم، واسمه قدوس، ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه، صنع قوةً بذراعه، شتت المستكبرين بفكر قلوبهم، أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتّضعين، أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين، عضَد إسرائيل فتاهُ ليذكر رحمته، كما كلم آباءنا، لإبراهيم ونسله إلى الأبد، فمكثت مريم عندها ثلاثة أشهر ثم رجعت إلى بيتها)[١].

وغاية الرواية، **أولاً**: تأكيد ربط البشارة بالحمل بيحيى، فمريم تسرع إلى قريبتها لتبشرها، وما أن تُسلّم حتى تتفاجأ بأن أَلِيصابات تخبرها باضطراب حملها عند سلامها عليها، وأن البركة حلت على ما في بطنها إشارة إلى نبوة يحيى[٢]، **ثانياً**: فرية الطبيعة الإلهية للمسيح بما يبلغ به السياق ذروته بزعم تصريح أَلِيصابات بأن التي تزورها أمّ الرب، تعالى الله عما يصفون، وهنا يلاحظ أنه على فرض اضطراب الحمل بسبب سماع سلام مريم وأن طمأنينتها مفسرة بما سبق في بشارة الملَك لزكريا بالولد[٣]، فما مستند فرية مخاطبتها بأم الرب إلا التبديل والتحريف؟! وهل اضطراب الحمل لسماع صوت مريم داع –فضلاً أن يكون دليلاً– لإجراء الفرية العظيمة على لسان أَلِيصابات؟! **ثالثاً**: تمجيد مريم للرب، والتعبير عن الفرح بقرب خلاص بني إسرائيل من ظلم الرومان، إشارة لفكرة الخلاص بالمسيح بملكه على بني إسرائيل، **ورابعاً**: مكوث مريم في بيت قريبتها ثلاثة أشهر، فهل يعني هذا أنه كان هو مكان العزلة؟ وهل الأشهر الثلاثة هي كل مدتها؟ وإذا كان كذلك فما الشأن في بقية مدة الحمل وأين كانت مريم فيها؟ أم هو تحديد لمدة الحمل؟!

ثالثاً: الولادة:

يُنهي إنجيل لوقا قصة الميلاد بما يلي: (**وفي تلك الأيام صدر أمرٌ من أُوغُسْطُس بأن يُكتتب كل المسكونة، وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سورية، فذهب الجميع ليُكتتبوا؛ كل واحد في مدينته، فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التي تُدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته، ليُكتَتَب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى، وبينما هما هناك تمّت أيامُها لتلد، فولدت ابنها البكر وقمّطته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل. وكان في تلك الكُورة رعاةٌ متبدّين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجّد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً، فقال لهم الملاك: لا تخافوا، فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع**

(١) إنجيل لوقا، ١: ٣٩-٥٦.
(٢) انظر: الكنز الجليل، للدكتور وليم إدي، ص١٤٩.
(٣) انظر: إنجيل لوقا، ١: ١٣-١٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

الشعب؛ إنه وُلد اليوم في مدينة داود مُخلّص هو المسيح الرب، وهذه لكم العلامة: تجدون طفلاً مُقَمَّطاً مضجعاً في مذود، وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة. ولما مضت عنهم الملائكة إلى السماء قال الرعاة.. لنذهب الآن إلى بيت لحم وننتظر..، فجاؤوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المذود، فلما رأوه أخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن هذا الصبي، وكل الذي سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة، وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها، ثم رجع الرعاة يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم، ولما تمت ثمانية أيام ليختِنوا الصبي سُمّي يسوع...)[١].

إن الرواية تحاول تقرير خمسة أمور: **الأمر الأول**: الظروف السياسية والبيئة الزمانية والمكانية للولادة التي تحدث في ظل استعداد لإحصاء سكاني مشروط بأن يقيد كل إنسان اسمه في مدينته[٢]، فيأتي يوسف بمريم –وهي حبلى– إلى بيت لحم، فتحصل ولادة المسيح هناك، **الأمر الثاني**: تقرير عقيدة الخلاص الداودي في المسيح، ولهذه الغاية أُقحم اسم يوسف –وهو من آل داود، على نحو مفاجئ في الروايات– بعد أن غاب طويلاً ولم يرد إلا مرة في الإصحاح الأول، بما يجعل سياق الرواية غريباً عن سابقه كما لاحظ بعض الدارسين[٣]، **الأمر الثالث**: أن الولادة كانت طبيعية، وأنها تمت في المكان الذي نزل فيه مريم مع يوسف في بيت لحم[٤]، ولأنه لم يكن لهما مكان خاص، اضطرت للوضع في إناء إطعام الدواب، إلماحاً لولادة المسيح لأسرة فقيرة ثم تواضعه[٥]، وتصوير الأمر كذلك يعني إنكار اعتزال مريم، ونتساءل –إذاً– عن سبب بقائها عند قريبتها ثلاثة أشهر كما يذكر الإنجيل، وعن مكان وجودها الأشهر الستة قبل ظهور يوسف فجأة! **الأمر الرابع**: تأكيد المزاعم النصرانية في طبيعة

---

(١) المصدر السابق، ٢: ١–٢١.

(٢) ترتب على اختلاف متّى ولوقا اختلاف في تاريخ ولادة المسيح. انظر: مدخل العهد الجديد، لجون درين، ص٤٩.

(٣) انظر: مريم بحسب الأناجيل، لبول ميشو، ص٦١.

(٤) يذهب الدكتور فراس السواح إلى أن بيت لحم التي ولد فيها المسيح ليست المعروفة اليوم، وإنما بلدة أخرى في الجليل آنذاك، وفق الدلائل الأركيولوجية. انظر: الوجه الآخر للمسيح، ص١١٩، وعليه فالمكان الذي اعتزلت فيه مريم يبعد من بيت المقدس ١٢٠كم على الأقل؛ فهي متوسط المسافة من القدس إلى الجليل، ولأن قصي المكان الذي أشار القرآن الكريم إلى انتباذ مريم فيه بعد الحمل نسبي فالقول محتمل، لاسيما أن بيت لحم الموجودة، وهي على مسافة قريبة من القدس نسبياً (١٠ كيلومترات تقريباً)، كانت بلدة يهودية، فلا تأمن مريم أن تعتزل فيها تسعة أشهر، وأما بيت لحم المطمورة في الجليل فاليهود فيها أقلية، وهي وُلدت فيها، وربما أنها قصدت مكاناً تعرفه، كما أن الحال التي كانت عليها بعد الحمل من الهم والترقب يمكن أن يحملها على الاعتزال في أبعد مكان ممكن، والله أعلم.

(٥) انظر: مرشد الطالبين، لمجموعة من اللاهوتيين، ص٢٢٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

المسيح الإلهية ووظيفته الخلاصية المكذوبتين، **والأمر الخامس**: أن البشارة بالولادة لم تختص بمريم، وإنما شملت الرعاة أيضاً[١].

المبحث الثاني: الميلاد في الأناجيل المخفية:

تقابل المصادرَ الكنسية الرسمية للعهد الجديد مصادرُ غير قانونية ولا معترف بها تسمى الأناجيل المخفية أو الأبو كريفية، و"أبو كريفا" كلمة يونانية بمعنى السر والخفاء، وكانت تدل –أول إطلاقها– على الكتب والرسائل التي خفيت معانيها عن الناس فلا يعلمها إلا خاصة أهل المعرفة، ثم تحولت دلالتها –لارتباط الأسرار بالشك والشبهات– إلى الغموض والزيف والباطل، وقد كتبت على فترات متباعدة، وهي تشمل مضامين تخالف ما استقرت عليه المجامع المكسونية، ولهذا أخرجت من الأناجيل المعتمدة في المجمع التريدنتيني عام ١٥٤٧م[٢].

المطلب الأول: الميلاد في إنجيل البداية/ الإنجيل التمهيدي[٣]:

يوصف إنجيل البداية ليعقوب الصغير[٤] –في الأدبيات الأبو كريفية– بأنها أكثرها أهمية؛ لأنه (يمثل روايات الطفولة القانونية المبكرة المكتوبة بإتقان، والتي قد بقيت حتى الآن) [٥]، ويسُمّى التمهيدي لأن أحداث مولده تمهيد لما بعدها[٦]، وسنعرض روايات الميلاد في هذا الإنجيل فيما يلي من موضوعات:

أولاً: أسرة مريم ونشأتها:

يفتتح الإنجيل بأن والد مريم أراد يوماً أن يتصدق فرفض الكهنة لأنه لم ينجب لبني إسرائيل، فحزن، لكنه تذكّر أن إبراهيم

---

(١) تعلق بوجود الرعاة في البرية ليلة ولادة المسيح جدل في زمنها، انظر: ميلاد يسوع المسيح في الأناجيل، للدكتور عبدالله باوادي، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، مج ٢٨، ع١، ١٤٤١هـ، ص٢٢١.

(٢) انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، لحبيب سعيد، ص١٨٤، و: مقدمة الأناجيل المنحولة، لإسكندر شديد، ص١٤.

(٣) يسمى هذا الإنجيل أحياناً ولادة مريم، وهو غير الإنجيل التالي، والسبب في ذلك تشابه وتكرار العناوين، ولا شك أن لمضامين الإنجيلين أثراً في ذلك من حيث إفرادهما روايات كثيرة في خبر ميلادها. وقد كُتب هذا الإنجيل في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي. انظر: أبو كريفا العهد الجديد، للدكتور إبراهيم سالم الطرزي، ص٥١.

(٤) يعقوب بن حلفي أحد التلاميذ الاثني عشر، لُقّب بالصغير لتمييزه عن يعقوب الكبير بن زبدي؛ أحد أصحاب المسيح، وقيل لُقب بذلك لصغر قامته. انظر: دائرة المعارف الكتابية، ٢٩٢/٨، و:قاموس الكتاب المقدس، ص٧٥١.

(٥) أبو كريفا العهد الجديد، للدكتور إبراهيم الطرزي، ص٥٠.

(٦) انظر: الأناجيل المنحولة، ترجمة إسكندر شديد، ص٣١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

-عليه السلام- رزق الولد كبيراً[١] فخرج للبرية يسأل الله الولد، وكانت زوجته حزينة لعقمها ولأنها لا تعلم مكان زوجها، وفيما كانت تنظر لعشّ طائر سألت الله الذرية[٢]، فأتت البشرى لهما بالولد متزامنة، فقدما الطعام للفقراء شكراً لله، وبعد تسعة أشهر ولدت فتاة سمياها مريم[٣].

وتتناول الفقرات التالية الأحداث الأولى لمريم، فتذكر أن أمها تفاجأت بأنها تمشي في ستة أشهر، فتضعها في مكان طاهر وتصنع لها محراباً، فلما بلغت عامين همّ والداها أن يرسلاها إلى المعبد، لكنهما أخراها سنة لئلا تطلب رجوعها إليهما! ولما صار لها ثلاث سنين أرسلاها، فاستقبلها الكاهن وصعد بها الهيكل[٤]، وأجلسها على درجات المذبح[٥]، فرقصت مريم -فيما يفترون- بعد إسباغ النعمة عليها، وأحبها بنو إسرائيل، وخرج والداها من المعبد متعجبين إذ لم تتبعهما، بل أصحبت كيمامة فيه[٦].

ثانياً: علاقة مريم بيوسف:

وعندما بلغت مريم ثنتي عشرة سنة اجتمع الكهنة للنظر في أمر رفضها الخروج للزواج، وفيما كبيرهم يدعو لإصابة رأي فيها سمع ملَكاً يأمرهم أن يجمعوا أرامل[٧] بني إسرائيل في المعبد، فلما جمعوهم خرجت الحمامة وطارت فوق يوسف، فأمره الكهنة أن يأخذ مريم، لكنه اعتذر بكبر سنه، فحذروه من المخالفة وذكروه بالعقوبة، فأخذها إلى بيته وأخبرها أنه سيتركها في حفظ الرب، وأما هو فسيذهب إلى أولاده[٨].

ثالثاً: بشارة.. وأسئلة:

---

(١) تكتفي الرواية بذكر إسحاق وسارة دون إسماعيل وهاجر.

(٢) ورد في بعض كتب التفسير روايات مشابهة عن أن والدة مريم لما رأت طائراً يطعم فراخه تحركت نفسها، فدعت الله أن يرزقها الولد. انظر: جامع البيان، لابن جرير، ٣٣٠/٦، و: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢٩/٢.

(٣) استغرق هذا المدخل التاريخي لأسرة مريم والظروف والأحداث التي مرت بها في إنجيل البداية ليعقوب من الإصحاح الأول إلى آخر الإصحاح الخامس. انظر: أبو كريفا العهد الجديد، للدكتور إبراهيم الطرزي، ص٥٢-٥٤.

(٤) مكان العبادة. وانظر في طبيعته وتاريخه: دائرة المعارف الكتابية، ١٧٥/٨ وما بعدها.

(٥) المذبح هو مكان تقديم القرابين. وانظر في أصل المصطلح وتاريخه: المصدر السابق، ٤٧٨/٣، و٤٨٨.

(٦) في الإصحاحين السادس والسابع من هذا الإنجيل. انظر: أبو كريفا العهد الجديد، للدكتور إبراهيم الطرزي، ص٥٤.

(٧) تفسر رواية إنجيل البداية ليعقوب، ٩:٢ -ضمن أبو كريفا العهد الجديد، للدكتور إبراهيم الطرزي، ص٥٦- الأرامل بمن ماتت زوجاتهم.

(٨) في أعداد من الإصحاح الثامن والإصحاحين التاسع والعاشر من هذا الإنجيل. انظر: المصدر السابق، ص٥٥-٥٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

في هذه الأثناء، عزم الكهنة على جعل ستارة للهيكل، فاختاروا فتيات طاهرات، وأقرعوا لمن يتولى غزل خيوطها الأرجوانية والقرمزية فوقعت القرعة على مريم، وبعد مدة خرجت تطلب الماء، فسمعت صوتاً يقول: (**السلام لك أيتها المنعم عليها، الرب معك، مباركة أنت في النساء**)[١]، فخافت وأسرعت إلى بيتها، وهناك سمعت الصوت يقول: (**لا تخافي يا مريم، لأنك وجدت نعمة أمام رب الجميع وأنتِ تحبلين حسب كلمته. فلما سمعت ذلك سألت نفسها: هل أحبل بالرب، الإله الحي؟! هل ألد مثل ما تلد جميع النسوة؟ فقال ملاك الرب: ليس كذلك يا مريم؛ لأن قوة العليّ تظللك، لذلك أيضاً فإن القدوس المولود منك سيدعى ابنَ العلي، وأنت تدعين اسمه يسوع؛ لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. فقالت مريم: هو ذا أنا خادمة الرب الواقفة أمام وجهه، فليكن لي حسب كلمتك... وبسرور عظيم انطلقت مريم إلى أليصابات قريبتها وقرعت الباب، فلما سمعتها أليصابات.. ركضت للباب وفتحته، فلما رأت مريم باركتها وقالت: كيف هذا لي أن أمّ ربي تأتي إليّ؟ لأن هذا الذي بداخلي ارتكض وباركك! فمكثت ثلاثة أشهر مع أليصابات...، ولكون مريم خائفة انطلقت لمنزلها الخاص وخبأت نفسها من أبناء إسرائيل، وكان عمرها ستة عشر عام**[٢]..)[٣].

إن هذه الرواية تذكرنا بالبشارة في إنجيل لوقا[٤]، لكن في سياق مختصر، وتومئ في تولي مريم غزل الخيوط الرئيسة في ستارة الهيكل إلى أثرها في بنائه معنوياً بأنها أم المسيح، كما تتضمن إرادة مكشوفة لتقرير الفرية العظيمة بولادة الإله –تعالى الله عما يصفون–؛ حيث تسأل مريم –فيما يفترون– نفسها: هل أحبل بالرب الإله الحي؟! وتسرع الرواية –كذلك– إلى كذبة اعتراف مريم بطبيعة المسيح ووظيفته المزعومتين، كما يطرد الإيحاء بعلم المخاطبين بطبيعة المسيح المكذوبة بمخاطبة أليصابات لمريم بأم الرب، مع أن السؤال ملح عن مصدرهم فيه كما سبق تعليقاً على رواية البشارة لدى لوقا! وكما تطرح الرواية ملاحظة سابقة على رواية مشابهة للوقا عن سبب بقاء مريم لدى أليصابات ثلاثة أشهر ومكان اعتزالها؛ نجد فيها أن مدة الحمل ليست ثلاثة أشهر؛ إذ تصلها بما جرى بين مريم ويوسف بعد عودته، وهو ما يتناوله الموضع التالي.

رابعاً: حوار عن الحمل:

ويشير الإصحاح الثالث عشر من هذا الإنجيل إلى عودة يوسف إلى بيته، فيجد مريم حاملاً في شهرها السادس، ما يعني

---

(١) إنجيل البداية ليعقوب، ١١: ١، ضمن المصدر السابق، ص٥٦.
(٢) هكذا، والصواب: عاماً.
(٣) إنجيل البداية ليعقوب، ١١: ٢–٤، و١٢: ٢–٤، ضمن المصدر السابق، ص٥٧.
(٤) انظر: إنجيل لوقا، ١: ٢٦–٣٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

أنها أمضت من خروجها من قريبتها ثلاثة أشهر أخرى، فيحزن يوسف ويظن بمريم ظنه[١]، بمضمون شبيه بما في رواية إنجيل متّى[٢]، لكن الرواية تحمل معنى زائداً بأنه سأل مريم عما رأى من حملها، وفيما يلي نص الحوار: (**فنهض يوسف.. ودعا مريم وقال لها: أنتِ التي اعتنى بك الله، لماذا فعلتِ هذا ونسيتِ الربّ إلهك؟ لماذا أهنتِ روحك، أنتِ التي رُبيّت في قدس الأقداس وتلقيتِ طعامكِ من ملاك؟ فبكت بمرارة قائلة: إني بريئة ولم أعرف رجلاً، فقال يوسف لها: فمن أين حينئذ ذلك الذي في رحمك؟ فقالت هي: حيّ هو الرب، إنني لا أعرف من أين كان لي**)[٣]. فاحتار يوسف بين أن يخفي الأمر فيقع في المعصية، أو يعلنه ويكون كلامها حقاً فيأثم، فاختار تركها سراً، فلما نام رأى الملك يطمئنه بأن الحمل من الروح القدس، وأنها ستلد ابناً لخلاص الناس من خطيئتهم[٤]! على أن الروايات لا تذكر شيئاً عن السنوات الأربع لمريم في بيت يوسف؛ كما أن الحوار ينقض ما في البشارة؛ فمريم تذكر له –فيما يفترون– أنها لا تعلم من أين كان حبلها، وحوارها مع المَلَك يخالفه ويؤكد أنها اطمأنت به لما علمت أنه أمر الله، بل وفرحت به وأخبرت أهلها بـ"سرور عظيم"!

خامساً: المحاكمة وظهور البراءة:

ينفرد الإصحاح الخامس عشر من هذا الإنجيل بمجيء رسول الكاهن إلى بيت يوسف، فيجد مريم حبلى، فيخبر الكهنة بالأمر ويتهمون يوسف بأنه تزوج مريم سراً، فيؤتى بهما لدار القضاء، وهناك (**قال الكاهن: مريم! لماذا فعلتِ ذلك؟ لماذا أهنتِ روحك ونسيتِ الربّ إلهك، أنتِ التي رُبيّتِ في قدس الأقداس وتلقيت طعام[٥] من يد ملاك وأصغيتِ إلى التراتيل ورقصتِ أمامه، لماذا فعلتِ ذلك؟ فبكت بمرارة قائلة: كما الرب إلهي يحيا فإني نقية أمامه ولم أعرف رجلاً، فقال الكاهن ليوسف: لماذا فعلتَ ذلك؟ فقال يوسف: كما الرب إلهي يحيا، فإني نقياً بالنسبة لها[٦]...**)[٧]، فيعطى الكاهن مريم ويوسف ماء الإدانة الذي مَن شربه فإن خطيئته –بزعمهم– تظهر في عينيه، فيشربان ولا يظهر عليهما شيء، فيأمر الكاهن بإطلاق

(١) إنجيل البداية ليعقوب، ١٣: ١، ضمن أبو كريفا العهد الجديد، للدكتور إبراهيم الطرزي، ص٥٧.
(٢) انظر: إنجيل متّى، ١: ١٨– ٢٤.
(٣) إنجيل البداية ليعقوب، ١٣: ٢–٣، ضمن أبو كريفا العهد الجديد، للدكتور إبراهيم الطرزي، ص٥٧–٥٨.
(٤) انظر: إنجيل البداية ليعقوب، ١٤:١–٣، ضمن المصدر السابق، ص٥٨.
(٥) هكذا، والصواب: طعاماً.
(٦) هكذا، والصواب: نقيٌّ.
(٧) إنجيل البداية ليعقوب، ١٥: ٣–٤، ضمن المصدر السابق، نفس الصفحة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

سراحهما، ويعلم الشعب أنهما طاهران(١).

سادساً: مقدمات المخاض.. واختلاف الأحوال:

وبعد البراءة تشير الرواية إلى اكتئاب بيت لحم، فيتحير يوسف في صفة مريم ليدرجها في سجله؛ إذ ليست زوجة ولا بنتاً له، فيفوض الأمر لله، ويحملها إلى البلدة مع أولاده، وبعد ثلاثة أميال يلتفت إليها فيراها تضحك تارة وتبكي تارة فسألها عن ذلك فأخبرته أنها رأت رجلين أحدهما ضاحكاً والآخر باكياً(٢)، (**وعند بلوغهم منتصف الطريق، قالت مريم له: أنزلني من على الأتان؛ لأن الذي في بطني يضغط ليولد، فأنزلها من على الأتان، وقال لها: أين أقودك وأغطي عارك؛ لأن المكان صحراء؟ فوجد كهفاً هناك، وقادها إليه، وترك ولديه بجانبها، وخرج يبحث عن قابلة في نواحي بيت لحم**)(٣).

وأبرز ملاحظة على هذا السرد أنه بالرغم مما سبق من الدلائل على طهارة مريم، وهي الرؤيا التي رآها يوسف والماء الذي شرباه في المحاكمة؛ فلا زال يظنّ بها بقوله المكذوب: "أين أقودك وأُغطي عارك"!

ثم يذكر يوسف أحوالاً غريبة من تغير نظام الكون والمخلوقات، إرهاصاً للولادة؛ إذ لاحظ أن السماء –إذ ذاك– كانت "متعجبة"، وقبة السماوات ساكنة، والطيور لا تطير، وهناك أناس منحنون لأكلٍ لكنهم لا يأكلون وأعينهم مشدوهة، وثمة راعٍ يرفع عصاه لسوق أغنامه فتظل مرفوعة وهو ينظر للسماء وأغنامه في مكانها لا تتحرك، وأطفال يريدون الشرب من النهر فلا يشربون كأنما نزعت أرواحهم(٤)!

سابعاً: الولادة:

بعد ذلك يجد يوسف قابلة فتسأله عمن ستلد، فيذكر أنها خطيبته وستكون زوجته(٥)، فتتعجب من ولادة امرأة عذراء، فيخبرها أن ذلك من الروح القدس، ويطلب أن تأتي حتى ترى بنفسها، (**فانطلقت القابلة معه، ووقفوا عن مكان الكهف، فهو ذا سحابة لامعة تظلل الكهف، فقالت القابلة: لقد تعظمت روحي اليوم؛ لأن عيناي قد رأت أشياء غريبة؛ لأن**

(١) انظر: إنجيل البداية ليعقوب، ١٦: ١–٣، ضمن المصدر السابق ص٥٨–٥٩.
(٢) انظر: إنجيل البداية ليعقوب، ١٧: ١–٢، ضمن المصدر السابق، ص٥٩. وسيأتي تفسير ذلك في الإنجيل التالي.
(٣) انظر: إنجيل البداية ليعقوب، ١٧: ٣، و١٨: ١، ضمن المصدر السابق، ص٥٩.
(٤) انظر: إنجيل البداية ليعقوب، ١٨: ٢–٤، ضمن المصدر السابق، ص٦٠.
(٥) جاء التعبير الحرفي عنه بقول يوسف: (وحصلت عليها –بالقرعة– كزوجة لي)! إنجيل البداية ليعقوب، ١٩: ١، ضمن المصدر السابق، ص٦٠. ولا يخفى ما في هذا القول المزعوم من غضٍّ لقدر مريم –عليها السلام–!

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

خلاصنا وُلد لإسرائيل. وفي الحال اختفت السحابة من على الكهف ولمع نوراً عظيماً[١] في الكهف، حتى أن العيون لم تتحمله، وبعد مدة قصيرة تضائل[٢] النور تدريجياً حتى ظهر الطفل، فذهب وأخذ ثدي أمه مريم، فصاحت القابلة وقالت: هذا يوماً عظيماً[٣] لي؛ لأني رأيت منظراً غريباً) [٤].

وإذ يلفت النظر في هذه الرواية دلالتها على ما يفيد بشرية المسيح وأنه مولود كغيره من الأطفال، حتى إنه طلب الطعام بالرضاع؛ فإن السياقات التالية شكاً من قابلة أخرى، فتصر على فحص مريم، فلما فعلت ذلك احترقت يداها، فاعتذرت من مريم وتطلب منها الصفح، فناديها الملَك آمراً إياها أن تضع يدها على الطفل حتى تأمن ويكون لها الشفاء والفرج، فلما حملت القابلة المسيح برئت، لكنها لا تكتفي بذلك بل تقوم –فيما يفترون– وتسجد له[٥]!

ويختم الإنجيل الحدث بقدوم مجوس إلى بيت لحم للسؤال عن المولود الذي سيكون ملكاً لبني إسرائيل ليسجدوا له، فيحضرون إلى الكهف ويقدمون هداياهم، ويأتي إلى مريم ويوسف ملَكٌ يحذرهما من الذهاب إلى بيت لحم خوفاً من هيرودس[٦] الذي أمر بقتل من دون العامين من الأطفال بعد أن علم بولادة مولود سيملك بني إسرائيل، فعمدت مريم إلى لفّ المسيح في قماش وخبأته في مذود بقر[٧]!

(١) هكذا، والصواب: نور عظيم.
(٢) هكذا، والصواب: تضاءل.
(٣) هكذا، والصواب: يوم عظيم.
(٤) إنجيل البداية ليعقوب، ١٩: ٢–٣، ضمن المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٥) انظر: إنجيل البداية ليعقوب، ١٩: ٤، و٢٠: ١–٤، ضمن المصدر السابق، ص٦٠–٦١.
(٦) من اختلاف روايات الميلاد في الأناجيل الاختلاف في تحديد زمن ولادة المسيح بما لا يقل عن عشر سنين، ويرجع بعض الباحثين السبب إلى تأكيد مزاعم الأصل اليهودي للمسيح. انظر: الوجه الآخر للمسيح، لفراس السواح، ص١١٧، و: أسطورة المسيحية، لجورج أفري، ترجمة عادل الميري، ص١١٣.
(٧) انظر: إنجيل البداية ليعقوب، ٢١: ١–٤، ضمن أبو كريفا العهد الجديد، للدكتور إبراهيم الطرزي ، ص٦١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

المطلب الثاني: الميلاد في إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص[١]:

إن مولد مريم وميلاد المخلص أحد الأناجيل المخفية المهمة في خبر ميلاد المسيح؛ نظراً للتفاصيل التي تضمنها، وسنقسم روايات الميلاد فيه فيما يلي:

أولاً: مريم.. الأسرة والاصطفاء:

يعيد هذا الإنجيل ما تقدم في الإنجيل السابق من قصة والد مريم إلى بشارة والديها بها مع تفاصيل للأحداث[٢]، ثم يذكر اصطفاءها لخدمة المعبد وهي في الثالثة من العمر! لأنها بدت أكبر من عمرها فقد كانت تتكلم بإتقان وتتصرف كامرأة عمرها ثلاثون، ولذا فإن الجميع أُعجبوا بها واقروا باصطفائها، وبعد زمن أراد أحد الكهنة أن يخطبها لابنه فامتنعت لأنها منذورة للعبادة، فلما أتمت أربع عشرة سنة أخبر الكهنةُ الناس أن الأمر جرى على أن تخدم الفتيات المعبد إلى حين بلوغهن سن الزواج فيخرجن ويتزوجن وينجبن أبناء صالحين لبني إسرائيل إلا مريم فإنها اختارت نظاماً خاصاً وجديداً لحياتها وهو الحياة البتولية، وأنهم يريدون أن يختاروا مَن يؤتمن عليها، وسيجرون قرعة بين بني إسرائيل في ذلك، وإذ أُجريت القرعة على الأسباط الاثني عشر وقعت على سبط يهوذا، فطلب الكهنة أن يأتي منهم كل لم ليس لديه زوجة ويأتي معه بعصا يضعها لدى الكهنة، فلما اجتمعوا من غد وأخذ الكهنة عصيهم خرجت من عصا يوسف يمامة كالثلج، فصاح الناس باسمه، لكنه اعتذر بضعفه وكبر سنه، فخوفه الكهنة من عاقبة الاعتراض، فرضخ للأمر واستلم مريم مع خمس فتيات من اللائي شاركنها غزل ستارة الهيكل، لمؤانستها[٣].

ثانياً: البشارة بالمسيح:

ثم ينتقل الإنجيل إلى بشارة المَلَك لمريم بولادة المسيح، ولسوف نقتصر من ذلك على ما يتضمن إضافة وجديداً على الإنجيل السابق. تبدأ البشارة بمقدمة وهي أن مريم كانت متضايقة من لقب بدأت الفتيات يطلقنه عليها وهو "ملكة العذارى"،

---

(١) كُتب هذا الإنجيل –ويسمى شبيه متّى المنحول، وإنجيل الطفولة، وكتاب مولد مريم والطفل المخلص– في القرن السادس الميلادي، وهو يجمع مضامين وردت في إنجيل البداية ليعقوب، وإنجيل الطفولة لتوما، ومضامين كنسية أخرى، انظر: المصدر السابق، ص٨٤، و: الأناجيل المنحولة، ترجمة اسكندر شديد، ص٨١.

(٢) استغرق الحديث عن مريم وأسرتها والبشارة بها وولادتها في هذا الإنجيل من الإصحاح الأول إلى الإصحاح الخامس من هذا الإنجيل. انظر: أبو كريفا العهد الجديد، للدكتور إبراهيم الطرزي،ص٨٧–٩٠.

(٣) انظر: إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص: من أول الإصحاح السادس إلى الفقرة السابعة عشرة من الإصحاح الثامن، ضمن المصدر السابق، ص٩٠–٩٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ /ديسمبر ٢٠٢١م)

فظهر لهن الملَك ونهاهن عن مضايقتها، ومع ذلك أخبرهن أن هذا لقب حقيقي لها، فطلبت الفتيات منها الصفح[١]، وفي اليوم التالي، وفيما كانت تملأ جرتها ماء، ظهر الملَك قائلاً: (**مباركة أنتِ يا مريم، لأنه في رحمك يُعد مسكناً للرب، لأنه هو ذا النور من السماوات يأتي ويسكن فيك، وبك يسطع على كل العالم**)[٢]، ثم أصبحت في اليوم الثالث تغزل ستارة الهيكل فدخل عليها الملَك في صورة شاب، فخافت، لكنه قال: (**سلام يا مريم، يا ممتلئة نعمة، الرب معك، مباركة أنتِ بين النساء، ومبارك هو ثمرة رحمك**)[٣]، وإذ زاد خوفها، أضاف: (**لا تخافي يا مريم؛ لأنك قد وجدت نعمة لدى الله، هو ذا أنتِ سوف تحبلين في رحمك، وتلدين ملكاً، الذي يملأ ليس فقط الأرض بل السماوات ويحكم من جيل إلى جيل**)[٤].

ونستنتج أن ظهور الملاك لنهي الفتيات عن مضايقة مريم ثم خطابه لها عند الينبوع، كان بالنداء، بخلاف ظهوره الثالث فكان في صورة شاب، وأما في المضمون فالرواية تختلف عن رواية الإنجيل التمهيدي بأن فرية الحبل بالإله –تعالى الله– فيها كانت بإخبار الملَك، وهناك كان تساؤلاً من مريم، وربما أنه مظهر من مظاهر التغييرات المستمرة في الروايات الإنجيلية للتقليل – فيما يظنون– من الملاحظات والإشكالات الواردة عليها، ولا يفوت الرواية أن تذكر فرية ملك المسيح لبني إسرائيل لتقرير انتسابه لآل داود، كما أن الثناء على مريم يكاد يكون تكراراً لما ورد في أول البشارة في إنجيل لوقا، وإن سجلنا أن بعض العبارات فيه على لسان الملَك حكيت عن مريم في حوارها مع قريبتها أليصابات، وأما ما يُفترى من طبيعة المسيح فلا يختلف عما في الإنجيلين الرسميين عند النصارى، كما سبق.

ثالثاً: ظن يوسف ورؤيا التسرية:

ثم تذكر الإصحاحات –في سياق مضامين مخالفة لما سبق– حصول الحمل بعد حوار مريم والملَك، وكيف أن يوسف يعود من ناحية البحر بعد تسعة أشهر قضاها ببناء بيت له، فيجد مريم حاملاً فيحزن بل يتمنى الموت، ومع أن الفتيات يؤكدن له أن مريم طاهرة عذراء، ويخبرنه عما رأينه من كلام الملَك معها يومياً ورزقها بالطعام باستمرار، وأنهن يعتقدن أن الحمل بسبب الملَك؛ إلا أن يوسف يصرّ على ظنه ويتهمهن بأنه يردن إضلاله، ثم يطرح إمكان أن يكون ثمة أحد ما خدعها وادعى أنها الملَك، ثم أضمر أن يهرب أو أن يرسل مريم إلى مكان بعيد! غير أنه ما إن خلد إلى النوم رأى الملَك يطمئنه بما يقارب ما مرّ

(١) انظر: إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص، ٨: ١٩–٢٠، ضمن المصدر السابق، ص٩٣.
(٢) إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص، ٩: ١، ضمن المصدر السابق، ص٩٤.
(٣) إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص، ٩: ٢، ضمن المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٤) إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص، ٩: ٣، ضمن الكتاب السابق، نفس الصفحة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

في الإنجيل السابق، فيقوم من نومه شاكراً الله على هذه الرؤيا التي سرّت عنه، معتذراً لمريم عن ظنه بها(١).

ونشير إلى أن ملاحظة بعض الباحثين في أن هناك اختلافاً في الفرق بين الأناجيل في الموقف من مريم، في أنها حظيت في الأناجيل المنحولة بالثناء فيما أغفلت القانونية ذكرها وربما عبرت عنها بما لا يليق(٢)؛ بأنه يصدق –فيما يخص الميلاد– على إنجيل متّى دون إنجيل لوقا.

رابعاً: تفاصيل المحاكمة:

ثم يتوسع هذا الإنجيل في تفاصيل المحاكمة التي أشار لها الإنجيل التمهيدي باختصار، مع اتفاقهما في أحداثه الأساسية، فيذكر ما يدل على أن المحاكمة استمرت يومين، يوم للسؤال ويوم للامتحان، وأن والدي مريم وأهلها حضروا المشهد وكانوا يحثونها على الاعتراف بالخطيئة! ويذكر –أيضاً– أن الماء الذي طُلب من يوسف ومريم أن يشرباه لتظهر الحقيقة اسمه "ماء الرب"! وتصور الروايات الطريقة والترتيب التي حصل بها ذلك بسؤال يوسف وتقريره من الكهنة ثم امتحانه بشرب الماء وسيره حول المذبح سبع مرات، فلما لم تظهر العلامة علموا صدقه، ثم طلبوا مريم فسألت الله أن يظهر الحق، فشربت الماء وسارت حول المذبح سبع مرات فلم يظهر شيء، فانقسم الناس إلى قسمين: قسم اعتقد اصطفاء الله لها وطهارتها وعفتها، وقسم ظن بها سوءاً، فتوجهت مريم للكهنة والناس بأنها لم تزل على ما يعرفونها عنها من التفرغ للعبادة وخدمة المعبد، فأقبلوا جميعاً يقبلون قدميها، وطلب من ظنوا بها سوءاً أن تغفر لهم وتسامحهم(٣).

خامساً: الاكتتاب في بيت لحم:

فيما يذكر الإنجيل المنحول السابق حيرة يوسف في إدراج مريم للاكتتاب في بيت لحم لكونها ليست زوجة ولا بنتاً له؛ يُصرح هذا الإنجيل بأنهما اكتتبا لأنهما من نسل داود وعشيرته، كما تفسر الرواية ما سبق من بكاء مريم مرة وضحكها مرة أخرى لرؤيتها رجلين أحدهما يبكي والآخر فرح مسرور؛ ولما نهاها يوسف عن قول ذلك ظهر له صبي بحلة بيضاء، فقال له: (**لماذا تقول إن الكلمات التي قالتها مريم عن الرجلين كانت نافلة(٤)؟ لأنها رأت شعب اليهود باكون(٥)؛ بسبب أنهم تركوا إلههم،**

(١) انظر: إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص، ١٠: ١–٥، و١١: ١–٣، ضمن المصدر السابق، ص٩٤–٩٥.
(٢) انظر: ولادة المسيح وإشكالية التثاقف المسيحي اليهودي، ليوسف هريمة، ص٣٢ وما بعدها.
(٣) انظر: إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص، ١٢: ١–١٢، ضمن أبو كريفا العهد الجديد، للدكتور إبراهيم الطرزي، ص٩٥–٩٦.
(٤) أي لا فائدة منها.
(٥) الصواب: باكين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

وشعب الأمم فرحون[١]؛ لأنهم الآن أُضيفوا واقتربوا للرب، بناء علي[٢] وعده لآبائنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ لأن الوقت أصبح قريباً حينما من نسل إبراهيم يتبارك جميع الأمم)[٣].

ومما هو أبعد من اتصال هذا المعنى بالبشارة بالمسيح، مفارقة هذه الرواية لطبيعة علاقة رسالة المسيح برسالة موسى عندهم؛ ففيما جرت الروايات –التي تعبر عنها روايات إنجيل متّى– على أن المسيح موسى الجديد، تقدم هذه الرواية أنها رسالة جديدة بسبب مخالفة اليهود وبعدهم عن الدين!

سادساً: المخاض والولادة:

ويستمر هذا الإنجيل في تفصيل الأحداث، فتشير رواياته إلى أنه بعد كلام الصبي ليوسف عن مريم في الفقرة السابقة، **(أمر الملاك الدابة أن تقف؛ لأن وقت ولادتها قد اقترب، وأوصى مريم أن تنزل من على الحيوان وأن تدخل فجوة تحت مغارة، التي ليس بها نوراً[٤] مطلقاً، بل ظلاماً دائماً[٥]؛ لأن نور الشمس إليها، فلما دخلته القديسة مريم بدأ في الإضاءة بكثير من الضياء، كما لو كانت في السادسة من النهار؛ لأن نوراً من الله أضاء المغارة، حتى لم تكن هناك حاجة للنور نهاراً أم ليلاً، ما دامت كانت القديسة مريم هناك[٦]، وهناك ولدت ابناً، والتفت الملائكة حوله حينما ولد، وبمجرد ولادته وقف على قدميه وعبدته الملائكة قائلة: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وللناس سروراً عظيماً[٧])[٨].**

وإذ لا تفوت ملاحظة وصف مريم بالقديسة فيما لم يسبق له نظير؛ فالرواية تُفهم أن مجيء القابلات كان بعد الوضع، في حين أن رواية الإنجيل التمهيدي تدل على أن الولادة تمت بمحضر واحدة منهن، كما تصرح الرواية هنا بأمر آخر وهو أن المولود قد وقف على قدميه بمجرد ولادته، وهو ما ينفيه اتيانها به إلى أهلها تحمله[٩]! على أن أعظم الفرية الكبرى بأن الملائكة –عليهم

(١) الصواب: فرحين.
(٢) الصواب: على.
(٣) الصواب: باكين.
(٤) الصواب: نور. مع ما يلاحظ من ركاكة التراكيب، وهي ملاحظة مطردة.
(٥) الصواب: ظلام دائم.
(٦) هكذا: "ما دامت كانت..."، وهو من شواهد ضعف وركاكة التراكيب في الأناجيل.
(٧) الصواب: سرور عظيم.
(٨) إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص، ١٣: ٤–٦، ضمن المصدر السابق، ص٩٦–٩٧.
(٩) سبق في المبحث الأول من الفصل الأول، الإشارة إلى ما أفاده بعض العلماء من مجيء مريم بابنها إلى قومها تحمله في قوله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

السلام، وحاشاهم- عبدوا المسيح!

ثم يذكر هذا الإنجيل تعجب القابلات التي دعاهن يوسف من هالات النور حول الكهف التي آوت إليه مريم، وكذلك تعجب إحداهن من الولادة التي تمت ولم يصب الوالدة ما يصيب النساء، حيث صاحت القابلة: (**عذراء حبلت، عذراء أنجبت، عذراء ما زالت**)[(١)]، كما تتكرر قصة القابلة التي أصرت على فحص مريم، لكن فيما أفادت رواية الإنجيل السابق أن يديها احترقت تذكر رواية هذا الإنجيل أنهما يبستا، كما أنه بعد اعتذار القابلة لا يظهر الملَك -في هذا الإنجيل- فيأمرها بلمس الطفل فتبرأ، وإنما يقف أمامها شاب قائلاً لها: (**اذهبي للصبي واسجدي له والمسيه بيديك، فهو سوف يشفيك؛ لأنه هو مخلص العالم، وكل هذا الرجاء فيه**)[(٢)]! فتذهب وتسجد -فيما يفترون- للمسيح فتبرأ، وهو تكرار لمضامين الكذب في تأليه المسيح ووظيفته المزعومة بالخلاص، وفيما تشير رواية الإنجيل السابق إلى اتفاق كتمان ما رأت القابلات خشية على المسيح، تصرح هذه الرواية بأن إحداهن أذاعت ما رأت فآمن الناس[(٣)]!

ويختم الإصحاح الثالث عشر فقراته بزعم أن الرعاة رأوا الملائكة -في منتصف الليل- وهم يترنمون ويسبحون، وأنهم كانوا -فيما يفترون على الملائكة- يعلنون طبيعة المسيح ووظيفته، مع ظهور نجم كبير لم يُرَ من قبل، فوق المغارة، إيذاناً بولادة المسيح[(٤)].

سابعاً: ما بعد الولادة:

سبقت الإشارة إلى رواية بعض الأناجيل القانونية التي تدل أن ولادة المسبح تمت في حظيرة دواب نظراً لفقر يوسف وعدم وجود مكان خاص له ولمريم في بيت لحم، وأما الإنجيل المخفي السابق فيذكر أن الولادة تمت في مغارة وأن مريم لفت ابنها في قماش ووضعته في إناء طعام للدواب خشية عليه من هيردوس، لكن هذا الإنجيل يزعم أن مريم خرجت من المغارة إلى إسطبل قريب فوضعت الطفل في معلف للدواب فسجدت له -فيما يفترون- الحيوانات، وأعقبه بما جاء في إشعياء: (**الثور يعرف**

﴿بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ﴾ [مريم: ٢٧] وهو تأكيد بشرية المسيح، لئلا يُفهم من كلامه أنه جاء يمشي.

(١) إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص، ١٣: ١٠، ضمن أبو كريفا العهد الجديد، للدكتور إبراهيم الطرزي، ص٩٧.

(٢) إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص، ١٣: ١٣، ضمن المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر: إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص، ١٣: ١٤-١٥، ضمن المصدر السابق، ص٩٨.

(٤) انظر: إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص، ١٣: ١٦-١٨، ضمن المصدر السابق، نفس الصفحة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

قانيه، والحمار معلف صاحبه)[١]، أي أن الحيوان يعرف دون الإنسان، وإذ هذا معنى زائد على ما في الأناجيل؛ تصرح الرواية ببقاء مريم ويوسف في الإسطبل ثلاثة أيام[٢]، لكنها لا تذكر السبب في ذلك.

المبحث الثالث: الأبعاد العقدية لعدم ذكر الميلاد ولِسِمات ذكره في المصادر الإنجيلية:

إن أبرز ما نستخلصه من المبحثين السابقين إغفالُ خبر ميلاد المسيح في إنجيلين من الأناجيل القانونية عند النصارى، ووردُهُ في إنجيلين آخرين منها وإنجيلين مخفيّين موجزاً ومختلفاً فيه وبعقائد فاسدة، إضافة لما في روايات الولادة من فساد، بما يحمل على البحث في أسبابه، لا سيما مع حرص بعض الدارسين على بقاء الميلاد في إطار المسكوت عنه، وتجريد الأناجيل من التاريخ، حتى عدّوا إنجيلي متّى ولوقا مخفييّن لتضمنها الميلاد[٣]! كما يزيد الدراسة أهميةً محاولة دارسين آخرين تهوين عدم ذكر الخبر في الإنجيلين بتعليل عدم الذكر فيهما باكتفائهما بما تضمنه إنجيلا متى ولوقا[٤]؛ فإن هذا قائم على فرضية اختلاف الأناجيل، والواقع خلافه؛ فالأناجيل متشابهة إلى درجة الترادف، ولهذا سُمّي ثلاثة منها بالإزائية[٥].

وبملاحظة تعليل أحد الباحثين تشابه الأناجيل بما ينقض التعليل السابق تماماً، وهو وحدة موضوعها المتمثل في حياة المسيح[٦]؛ نجد أن السؤال وجيه جداً عن أسباب إغفال إنجيلين قانونيين للميلاد مع أنهما حافلان بالاشتراك مع الأناجيل في أحداث كثيرة أقل أهمية منه، ومجيئه في الأناجيل الأخرى بالسمات سالفة الذكر[٧]، وهي –في نظرنا– أبعاد عقدية يمكن عرضها

---

(١) انظر: إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص، ١٤: ٢، ضمن المصدر السابق، نفس الصفحة، وفي سفر إشعياء: ١: ٣ ما نصه: (الثور يعرف قانيه، والحمار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف. شعبي لا يفهم).

(٢) انظر: إنجيل مولد مريم وميلاد المخلص، ١٤: ٣، ضمن أبو كريفا العهد الجديد، للدكتور إبراهيم الطرزي، ص٩٨.

(٣) انظر: أضواء على أناجيل الطفولة، للكاردينال جان دانيالو، ص٩.

(٤) انظر: تاريخ الفكر المسيحي، للقس حنا الفاخوري، م١، ج١٧١/٢، ١٧٦.

(٥) انظر: الأناجيل الإزائية؛ متّى، مرقس، لوقا، نسقها وقدم لها الخوري بولس الفغالي، ص٣٧. والكتاب حصيلة أرواق مؤتمر أقيم في لبنان عام ١٩٩٣م بهذا العنوان. انظر: المصدر نفسه، ص٥.

(٦) انظر: المدخل إلى العهد الجديد، للدكتور موريس تاوضروس، ص٤٨.

(٧) يعجب الدكتور ليون جركيسان من إغفال بعض الأناجيل ولادة المسيح، ويرد على قال إن السبب في ذلك الاكتفاء بالأناجيل التي ذكرته، بقوله –في ضوء أن إنجيل مرقس أول الأناجيل–: (فإن اعتبر الإنجيلي يوحنا أنه لا حاجة لذكر الولادة على أساس أنها وردت في إنجيلي متّى ولوقا؛ كونه دوّن إنجيله بعدهما، فما هو عذر مرقس، وهو حسب ما ذكره النقاد والباحثون أنه أول كتبة الأناجيل الأربعة، وأن متّى ولوقا أخذا عنه..!). تاريخ أديان التوحيد في الهلال الخصيب، ص٢٣١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: عقيدة تأليه المسيح:

إن الاعتقاد بأن المسيح –عليه الصلاة والسلام– إله وابن الإله[١] –تعالى الله عما يقولون– هوية الديانة النصرانية[٢]، لكن الولادة تناقض هذا الاعتقاد الباطل في نفسه –فطرة وعقلاً، عدا عن النقل الصحيح بتنزيه وتوحيد الله تعالى في الإنجيل قبل تحريفه وفي غيره من الكتب والرسالات[٣]–، ولأن الغاية إيضاح أوجه سببية هذا الاعتقاد في عدم ذكر الميلاد في إنجيلين قانونيين، ووَسَم رواياته بسمات عقدية خاصة في أناجيل ذكره؛ فسندير الموضوع على ثلاث أنحاء، وهي: معضلة الجمع بين دعوى التأليه والولادة، ومحاولة طمس روايات الولادة ودفع دلالاتها بمفاهيم مزاحمة، وإشكالات تفسير الولادة.

أولاً: معضلة الجمع بين دعوى التأليه والولادة:

لقد وجد النصارى أنفسهم أمام مشكلة كبيرة لعدم قدرتهم على الجمع بين دعوى ألوهية المسيح وولادته، حتى إن من علل الأريوسيين في نفيهم ألوهية المسيح كونه مولوداً[٤]، ولقد كان هذا الأمر أحد العوامل المؤثرة والمهمة –إضافة إلى عوامل

---

(١) يعتقد النصارى أن المسيح هو الله في جوهره، وابنه بأقنومه من ثلاثة أقانيم. انظر: أقانيم النصارى، للدكتور أحمد حجاري، ص١٠٩، و: التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا، لسعد رستم، ص١٥.

(٢) انظر: المسيحة، للدكتور أحمد شلبي، ص١٤٦، و: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، الدكتور محمد الحاج، ص٢٢٧، و: العقائد المسيحية في الألوهية، للدكتور داود السعدي، ص٣٠٣، و: الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، لمنقذ السقار، ص١٩٧. وقد فصّل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله، في الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح– أوجه النقض على العقائد النصرانية، ومنها دعوى ألوهية المسيح، انظر: المصدر نفسه، ٩٧/٣ ، وانظر أيضاً: إظهار الحق، لرحمة الله الهندي، ٧٣٦/١، و: موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام، للدكتورة سارة العبادي، ص٣٠٧، وللتوسع: انظر: جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى خلال القرون الستة الهجرية الأولى، لبدر المعيقل، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٢٥هـ، ص٦٤، و: جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن إلى العصر الحاضر، عرض ونقد، لرمضان مصطفى الدسوقي حسنين، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر، المنصورة، ١٤٢٤هـ، ص٣١٤.

(٣) انظر في تفصيل ذلك: الجواب الصحيح، لابن تيمية، ٣٠٣/٣-٣٠٥.

(٤) الأريوسية: طائفة تُنسب إلى الأسقف "آريوس" الذي كان قسيساً في الأسكندرية، اختلف مع الأساقفة منكراً ألوهية المسيح، وكان يقول بأن الله إله واحد أزلي غير مولود، وأما عيسى فبشر مخلوق مولود يُوحى إليه. انظر: الفصِل، لابن حزم، ٦٤/١، و: دراسات في الأديان، للدكتور سعود الخلف، ص١٨٤، و: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات إلى ظهور الإسلام، لنهاد خياطة، ص٨٣، وقد وقفت الكنيسة من الأريوسية موقفاً شديداً وحكمت على معتنقيها بالهرطقة. انظر: لاهوت المسيح، للقمص موسى واصف، ص٢٩، و: المقالات الثلاثة ضد الآريوسيين،

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

أخرى– في عدم ذكر الميلاد في بعض الأناجيل، بما تعيّن ووقع في إنجيلي مرقس ويوحنا. وفي هذا السياق فإذ نوافق بعض الذين تناولوا الموضوع في أن إغفال ذكر الميلاد في الإنجيلين السالفين كان لعدم مناقضة دعواهم في تأليه المسيح، فإننا نختلف معه في توجيه ذلك، فهو يعلل إخفاء إنجيل مرقس ذكر مريم وولادتها أنه لتأكيد فرية أن المسيح ابنٌ لله الحقيقي والوحيد فقط وليس ابناً لمريم، وأن يوحنا أراد أن يجعل للولادة معنى إلهياً بتجسّد الكلمة الأزلية في المسيح(١)، وفي رأيي أن السبب لا يتعلق بتحديد وجه بنوّة المسيح ولا بإرادة تفسير الولادة بالتجسّد(٢)، ولكن السبب –وهو واحد ومشترك بين الإنجيلين– محاولة البعد من الإشكالات المعضلة المترتبة على مفهوم الولادة البتولية مع مزاعم التأليه، ولذا نسب هذان الإنجيلان المسيح إلى البنّوة لكونها ذريعتهم في دعوى التأليه، ولم يذكرا الولادة(٣)، وإذ لم يُشر إنجيل مرقس إلى أي لفظ يحتمل الولادة فإن حمل التجسد في إنجيل يوحنا على معناها، ليس متفقاً عليه؛ فإن التجسد أعم؛ بل إن ثمة اتجاهاً يرى أنه لا علاقة للتجسد بالولادة(٤)! وعلى فرض أن التجسد من معاني الولادة عندهم فإنه يقوي هذا الاختيار؛ إذ يراد أن يكون بديلاً عن لفظ الولادة، ولذا فهو أحد وجهي معناها عند بعض مفسري الأناجيل، سواء ذُكر أن الولادة من مريم أم لا!

ثانياً: محاولة طمس روايات الولادة، ودفع دلالاتها بالمفاهيم المزاحمة:

للقديس البابا أثناسيوس الرسولي، –صواب العنوان: المقالات الثلاث–، و: الطوائف المسيحية في مصر والعالم، لماهر يونان عبدالله، صص٣٧، و: الهرطقة في المسيحية، لجي ويتلر، ص٧٦.

(١) انظر: ميلاد يسوع المسيح في الأناجيل، للدكتور عبدالله باوادي، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، مج ٢٨، ع١، ١٤٤١هـ، ص٢١٦–٢١٧.

(٢) يُقصد بالتجسد حلول الإله بابنه الأزلي –تعالى الله عن ذلك– في جسد الإنسان واتحاده معه واشتراكهما في طبيعة واحدة، ليتحمل الناسوت الخطيئة المزعومة بالفداء الكامل. انظر: معجم اللاهوت الكتابي، ٤٢٢/١، و: دائرة المعارف الكتابية، ٥٤٥/١، و: حتمية التجسد، للأنباء متاؤس، ص٩. وانظر في الرد على هذه العقائد: الجواب الصحيح، لابن تيمية، ٩٢/٤، و: جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس، لرمضان مصطفى الدسوقي حسنين، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر، ص٣٥٨، و: التجسد والصلب بين الحقيقة والافتراء، للدكتور محمود حماية، ص٥، و: دراسات في الأديان، للدكتور سعود الخلف، ص٢٩٧، وص٣٠٧، و: دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، للدكتور محمد البار، ص٣٠٥، وص٣٥٦.

(٣) انظر –مثلاً–: إنجيل مرقس، ١:١، وإنجيل يوحنا، ١: ١٨، ، و٣: ١٨، و٥: ١٩، و١٠: ٣٦، و١١: ٢٧.

(٤) انظر: تاريخ الفكر المسيحي، لحنا الفاخوري، ج١، م١٨٨/٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

لم يكن ممكناً أن يطرد إغفال خبر ولادة المسيح في جميع الأناجيل لتعدد مصادرها واختلاف تواريخ تدوينها، ولسببين خاصيّن في كلٍّ من إنجيل متّى وإنجيل لوقا؛ فإن لإنجيل متّى دافعاً عقدياً لا يتأتى له إلا بإثبات ولادة مريم للمسيح، وهو مجال البحث في المطلب التالي، وأما إنجيل لوقا فإن طابعه الشفهي ساعد في ذكر الخبر، وهو سبب يطرد في روايات الأناجيل المخفية، وإن كان من الفروق المهمة بينه وبينها أن هذه الأناجيل لم تدخل دائرة الاعتراف الكنسي. ومع ذلك عرف الإنجيلان القانونيان، والأناجيل المخفية الأبوكريفية، التي ورد فيه شيء من أخبار الميلاد، مشكلة في توثيقها نظراً لتعارضها مع زعم التأليه، بما جعل روايات الميلاد فيها تتسم بالإيجاز والاختلاف وتوارد المفاهيم الأجنبية عنها.

فإيجاز خبر الميلاد –مقارنة بأخبار المسيح الأخرى– واختلاف أحداثه بين الأناجيل، يشي بما واجهته الروايات من حصار لاهوتي لإبعادها عن الأناجيل الرسمية، وقد ذكر أحد المختصين في نقد العهدين القديم والجديد هذه الحقيقة؛ وبيّن أنه لما كان الموقف الكنسي (مركزاً –بصورة جزئية– على عقيدة الولادة العذرية للمسيح؛ فإننا نتوقع وجود معركة عقائدية شُنّت على الفصلين الأول والثاني من كتابي متّى ولوقا؛ فقراتِ العهد الجديد الوحيدة التي تؤكد هذا الاعتقاد..، البعضُ من المسيحيين المبتدعين الذين أنكروا هذه العقيدة اتُّهموا بحذف هذه الفقرات من الكتاب المقدس جملة، آخرون اتُّهموا بالعبث بالنصوص لكي يزيلوا أي فكرة عن ولادة بتولية منها)[١]! ولا شك أن معركة ذات أهداف عقدية كبرى كهذه المعركة لا بد أن تعمل لما هدفت لطمسه وإلغائه وهي روايات الميلاد في الأناجيل بتتبعها وإخفائها، كما أثر ذلك بما لحق نقلتها من الخوف من المساءلة والتعرض للعقاب عما يحملونه منها، ولهذا فإنها أُفيدت –أغلب الظن– في نطاقات ضيقة وشفهية وخاصة، فجاءت موجزة ومحدودة ومختلفة!

وقد توازى مع حصار روايات الميلاد محاولات دفع دلالاتها من الولادة البشرية البتولية من خلال إدراج المفاهيم الأجنبية عليها بما لا مزيد عليه من دعوى ربوبية وألوهية المسيح؛ فمع تفاوت الإيجاز والاختلاف الداخلي في النصوص كان الإدراج – كما مرّ– من مثل: "الربُّ معنا"، "ابنَ العليّ يُدعى"، "أم ربّي"، المسيحُ الرب"، "ابنُ الله"، مستمراً فيها، في سياقات مستكرهِة لأنساقها التي تحمل مشكلات ذاتية بناءً ومدلولاً؛ فلا مناسبة مقامية أو تركيبية لها، كما أن السياقات التي أدرجت فيها لا تتطلبها فضلاً أن تقتضيها، ومما يمنحنا قرينة دالة على هذا الإدراج المقصود أن روايات الميلاد من البشارة إلى الولادة في الأناجيل حافلة بالمراجعات والنقاشات والأسئلة في الحوارات الداخلية للنصوص، وأما هذه المفاهيم المزاحمة التي تحمل دعوى ربوبية وتأليه

(١)أثر الخلافات المسيحية المبكرة حول طبيعة المسيح على طبيعة الكتاب المقدس، للدكتور بارت إيرمان، ص٦٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

المسيح فلا يرد عليها إشكال ولا تقابل بتعجب ولا يتم فيها مراجعة ولا يجري حولها حوار، اللهم إلا في مورد واحد من الأناجيل المخفية، وقد كان سؤال تعجب لا إنكار، وأما عامة المضامين المدرجة فتصور على أنها من المسلمات، كما أن الإيجاز والاختلاف يلحق روايات الميلاد دون هذه المفاهيم التي تتسم بالتنوع والتكرار والتوافق!

ولقد ظنّ اللاهوتيون أنه يمكنهم بهذه الاستكراهات المدرجة الخلاص من الإشكالات المترتبة على مفهوم الولادة مع زعم التأليه، مع أنها استدعيت بناء على اعتقادات مسبقة لتكون ذرائع لتفسيرات غنوصية للولادة تناسب –فيما يزعمون– اعتقادهم في ألوهية المسيح(١)!

ثالثاً: إشكالات تفسير الولادة:

من دلائل مركزية معضلة الجمع بين زعم تأليه المسيح ودلالات ولادته ولادة بشرية في عدم ذكر ميلاده في بعض الأناجيل وذكرها بسمات خاصة في أناجيل أخرى كما تقدم، واقع التفسير اللاهوتي المضطرب والمتناقض لمفهوم ومعنى الميلاد، بما يعبر عنه منهجان رئيسان، **المنهج الأول**: منع تفسير ولادة المسيح مطلقاً بذريعة كونها سراً من الأسرار الإلهية الخاصة التي لا يمكن لأحد معرفتها، فتكون الولادة لفظاً لا حقيقة تحته ولا مدلول له، ففي مقابل الملاحظات المترتبة على زعم ألوهية المسيح مع الولادة ألقى شارحو الإنجيل على الولادة هالات من الغموض وأشاعوا أنها من المعاني المغلقة عن التفسير والمستعصية على الفهم، وفيما يلي نص مهم يُعبر عن محاولات الإغلاق التام أمام تفسيرات الولادة، يقول فيه صاحبه: (فلْيَخْزَ الذين ينشغلون في الولادة العلوية، فهذه الولادة لا يمكن للمرء أن يفسرها..، يا له من جنون مفرط يُصاب به الذين ينشغلون وينهمكون بتلك الولادة الفائقة الوصف! فلا جبرائيل، ولا متّى، كانا قادرَين على قول شيء أكثر من أن الولادة كانت من الروح القدس، ولكن كيف كانت من الروح؟ وبأية طريقة؟ إنهما لم يفسرا ذلك، بل يعجزان عن تفسيره)(٢)! إن الباعث على هذا التحذير الشديد –والذي لا تخفى حدته– من تفسير ولادة المسيح هو أنها تثير أسئلة معرفية عصية عن الإجابة ومسببة للخلاف الذي لا يمكن درؤه بقانون كقانون الإيمان الكنسي، وهو الذي تم تطويره والإضافة إليه في ضوء الإيرادات على العقائد المحرفة وأهمها الاعتقاد

(١) انظر: مدخل إلى الإيمان المسيحي، لجوزيف راتسنجر، ص٢٠٣، و: الإنجيل الحي في الكنيسة، لبرنار سيسبويه، ص٤٨.

(٢) التفسير المسيحي القديم للكتاب المقدس، نقله من اللغات الأصلية الأب الدكتور ميشال نجم، بالاشتراك مع مجموعة من الناقلين والمحررين، ص٧٠. ومنهم من يفسر الولادة بالتجسد، ثم يجعل السر في معناه ومفهومه. انظر: ما معنى أن يسوع المسيح هو ابن الله، لصادق إلياس، ص٧٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

في المسيح[١]، بما أقربه كيفية أن يكون إلهاً وهو مولود[٢]!

وأما **المنهج الثاني** فهو تفسير الولادة في اتجاهين، **الأول**: حصر معناها بالولادة البشرية البتولية لمريم مع تفسير معناها بالتجسد، ونفي الولادة الإلهية، تعالى الله، والتي يحمل عليها زعم وفرية بنوة المسيح لله، وسنورد من أقوالهم ما يدل على هذا، حيث يقررون (أن للمسيح بنوتين، الأولى قائمة أساساً بدون ولادة؛ إذ إنها أزلية بأزلية الله، أما الثانية فهي بالتجسد عند ولادته بقوة الروح القدس من العذراء)[٣]، وأما **الاتجاه الآخر** فيقرر الولادة الإلهية للمسيح، تعالى الله عما يفترون، ليكون المولود – بزعمهم– إلهاً؛ لـ(أن الذي هو مولود من الله فهو الله، تماماً كما أن الذي يلده الإنسان يكون إنساناً، أما ما يخلقه الله فليس إلهاً، تماماً كما أن ما يصنعه الإنسان ليس إنساناً)[٤]! وفي المقابل لا يكون للبنوة دلالة على مفاهيم الولادة البشرية[٥]، كما يكون التجسد مجرد ظهور حسي لمولود إلهي أزلي قديم، مقررين (عدم وجود أي قطع أو تجزئة في ولادة الابن من الآب؛ لأن كلمة الله هو ابنه، والابن هو كلمة الآب وحكمته؛ فإن الكلمة والحكمة ليس مخلوقاً، وليس هو جزءاً من ذلك الذى له كلمة، أي الآب، ولا هو مولود تقسيم أو انفصال، فكلا اللقبين وحّدهما الكتاب وأعطاهما لقب ابن بصورة مؤكدة، لكي يبشر به أنه المولود الطبيعي والحقيقي للجوهر، وحتى لا يظن أحد أن المولود بشري، بينما هو الكتاب يقصد جوهره، ولهذا يقول الكتاب أيضاً إنه الكلمة والحكمة والبهاء، وذلك لكي ندرك من هذا أن الولادة بلا تقسيم أو انفصال، وأنها أزلية ولائقة بالله)[٦].

ويظهر أن الغاية من هذا الحرص على فرية الولادة الإلهية للمسيح هو ألا يكون ثمة لحظة زمانية ما لوجوده، بما ينفي ويناقض مزاعم ألوهيته وقدمه؛ فإن الولادة الطبيعية تعني أنه لم يكن للمسيح قبلها وجود، وتقتضي أنه كان جزءاً من أمه، فصُرفوها إلى ولادة إلهية أزلية لا تحتمل الانفصال ولا الانقسام، بما يفترون أنها من خصائص الله ولائقة به!! تعالى الله عما يفترون[٧]! وبهذا أيضاً يمكن أن يفسر –من وجه– رفض بعض القسس الاحتفال بيوم للميلاد؛ لدلالته على زمن وجود ما

(١) انظر: قانون الإيمان، للدكتور جرجس عبدالمسيح إبراهيم، ص١٠.
(٢) انظر: تاريخ الفكر المسيحي، لحنا الفاخوري، م١، ج١٩٠/٢.
(٣) ما معنى المسيح ابن الله، لعبدالله عبد الفادي، ص٥.
(٤) المسيحية المجردة، لسي إس لويس، ص١٥٢.
(٥) انظر: محاضرات في النصرانية، لمحمد أبو زهرة، ص٩٣.
(٦) الفكر اللاهوتي، للقديس كيرلس مع القديس أثناسيوس، ص٧. وانظر: الأنثروبولوجيا المسيحية، للأب فاضل سيداروس، ص١٢٧.
(٧) انظر في الرد على فرية الولادة الإلهية للمسيح: الجواب الصحيح، لابن تيمية، ١٣٤/٣، و٤٥٥، و٢٨٠/٤، و٤٤٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

للمسيح، كما أنه من أسباب رفض الكنيسة عقائد بعض الطوائف النصرانية التي قالت بألوهية المسيح بعد الولادة البشرية[١]!

المطلب الثاني: عقيدة المسيح المنتظر:

فيما كانت عقيدة تأليه المسيح عاملاً مشتركاً في عدم ذكر ميلاد المسيح وفي ذكره في الأناجيل كما سبق في المطلب السالف؛ فإن اعتقاد كونه المخلص المنتظر سبب إيراده في أغلب الأناجيل التي ذكرته. وتعود جذور الإيمان بمخلص لبني إسرائيل إلى نبوءات العهد القديم؛ فبسبب الظروف التاريخية التي مرّ بها اليهود كان أحبارهم يبشرونهم بقرب ظهور مسيح يخلصهم من السبي وطول السوم وأنهم به سيظهرون على الأمم، إلا أنه وقع اختلاف في تعيينه باعتراض اليهود أن يكون عيسى –عليه السلام– وتأكيد النصارى أنه المذكور في النبوءات[٢].

ونظراً للأثر اليهودي في النصرانية، خاصة في مراحلها الأول، عمد كُتّاب الأناجيل إلى محاولة إيجاد مقاربة من خلال اعتبار عيسى هو المسيح المخلص، لا على أنه جاء برسالة جديدة، وإنما بأنه امتداد للعهد القديم، وأنه يقر عقائدهم وشرائعهم المودعة كتبهم التي طالتها يد التحريف[٣]، وهو ما لا يمكن عندهم إلا بإيراد قصة وأخبار ولادته أو بعضها على الأقل، وقد عبرتْ عن هذا الاتجاه –الذي لا يكفي وصفه بأنه متأثر بالرؤية الدينية اليهودية وإنما يمثلها– الأناجيل التي فيها خبر الميلاد، وإن كان التركيز على وضوحه في الإنجيلين القانونيين –لدى أهلهما– أوضح لهذه الصفة، ولأنهما يحملان تناصاً مطرداً مع روايات العهد القديم، بما جعل الباحثين يؤكدون على تأثر كاتبيهما بالعقائد اليهودية[٤]، بل منهم مَن قرر أن مؤلف إنجيل متّى كاتب يهودي اعتنق النصرانية لا متّى النصراني[٥]!

إن كلمة "المسيح" في العهد القديم تعني الملك الممسوح بالبركة من الله، وأنه الذي يبعث لينقذ بني إسرائيل من العذاب،

---

(١) انظر: الفصِل، لابن حزم، ٦٥/١، و: الجواب الصحيح، لابن تيمية، ٢٥٨/٤، و: الفرق والمذاهب المسيحية، لنهاد خياطة، ص٩٨، و: الهرطقة في المسيحية، لجي ويتلر، ص٩٤. وانظر في إشكالات ودلالات ما يزعم من تاريخ الميلاد في ٢٥ ديسمبر: ألغاز الإنجيل، لفراس السواح، ص٦٢.

(٢) انظر: عقيدة المسيح المنتظر وأثرها في الفكر اليهودي، للدكتور يحيى حسن علي مراد، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر، العدد الثاني والعشرون، ج٢، ١٤٣٩هـ، ص١٨٤٧، وص١٨٥٢، وص١٨٥٥.

(٣) انظر: ولادة المسيح وإشكالية التثاقف اليهودي المسيحي، ليوسف هريمة، ص١٤٩.

(٤) انظر: تاريخ أديان التوحيد في الهلال الخصيب، للدكتور ليون جركسيان، ص٢٣١.

(٥) انظر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، للدكتور يوسف الكلام، ص١٩٧، و:من الأناجيل إلى الإنجيل، للأب أتيان شرينتييه، ص٤٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

في أشكال دينية واجتماعية متعددة، على أن أهم علاماته فيها أنه من نسل ملوك آل داود[١]، ولأن المسيح ولد لغير أب، ومن أم من نسل هارون[٢]، بما يهدد هذه النبوءة؛ عمد كُتّاب الأناجيل إلى اختراع مركب من النسب تودع تفاصيله روايات الميلاد في العهد الجديد[٣]، تبدأ بإيجاد علاقة بين النسلين، بما تأتى عندهم بشخصية يوسف النجار الذي يعود نسبه إلى داود، ولهذا حرصت بعض الأناجيل على الإدلاء بهذا المعنى كما مرّ، كالنداء المدعى من الملَك: (**يا يوسف بن داود**)[٤]، مع أنه لا حاجة لنداء شخص في المنام باسم أبيه، بما يدل على أنه لإضفاء صفة سُيبنى عليها النسب المدعى تالياً[٥]، ثم وُصف يوسف بأنه كان خطيباً فزوجاً لمريم، بما يصحح –في زعمهم– إلحاق نسب المسيح به، خاصة في الأناجيل التي وُجهت إلى اليهود، لإثبات أن العهد الجديد امتداد للقديم[٦]، لكن كيف يمكن ذلك وولادة المسيح كانت ولادة عذرية لغير أب؟!

لقد وجد اللاهوتيون فيما يسمى بقانون البنوّة اليهودي بأن يلحق الابن بمن يتزوج بأمه ما يظنون أنه يصحح نسبة المسيح ليوسف النجار ثم إلى الداودية من الناحية الناسوتية[٧]، بما جاء التصريح به في بعض روايات الميلاد الإنجيلية من مثل: (**ويعطيه الرب الإله كرسي أبيه داود**)[٨]، (**ويعطيه الرب عرش أبيه داود**)[٩]، (**ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد**)[١٠]، بل افتتح متّى إنجيله بقوله: (**كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود**)[١١]، لكن هذا الإلحاق المخترع مختلف فيه بين متّى ولوقا؛

(١) انظر: مدخل العهد الجديد، لجون درين، ص٨٢، و: دراسات لاهوتية في الكتاب المقدس، لآدولف بول، ص٧٠.

(٢) جرت محاولات لإلحاق نسب مريم بآل داود، وهي محاولات مردودة بأوجه منها ما تدل عليه الأناجيل نفسها. انظر: ولادة المسيح وإشكالية التثاقف اليهودي المسيحي، ليوسف هريمة، ص١٣٣.

(٣) تاريخ أديان التوحيد في الهلال الخصيب، للكتور ليون جركسيان، ص٢٣٢.

(٤) إنجيل متّى، ١: ٢٠. وثمة إشارات أخرى إلى هذا النسب ليوسف، انظر: إنجيل لوقا، ١: ٣٩، و٢: ٥.

(٥) انظر: تطور الإنجيل؛ المسيح ابن الله أم ملك من نسل داود، ص١٤٩.

(٦) انظر: تفسير الكتاب المقدس في أبعاده المتعددة، لغرانت. ز. أوزبورن، ص٣٨٦، و: الخلفية الحضارية للكتاب المقدس: العهد الجديد، لكريج. س. كنر، ٣٧/١.

(٧) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، لأحمد عبدالوهاب، ص٧٨-٧٩.

(٨) إنجيل لوقا، ١: ٣٢.

(٩) إنجيل مريم، ٩: ٦.

(١٠) إنجيل لوقا، ١: ٣٣.

(١١) إنجيل متّى، ١: ١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

فالأول يزعم أن المسيح هو عيسى بن داود بن إبراهيم[١]، والآخر يزعم بأنه عيسى بن داود بن هالي[٢]! وفيما عدا هذا التصريح يشير بعض الدارسين إلى قرائن تضمنتها الروايات الإنجيلية المختلفة لتأكيد صلة المسيح بالنسب الداودي[٣]!

لكن ما هو أدل من ذلك أن ثمة اختلافاً بينهم في تفسير القانون الذي يصححون به النسب المزعوم؛ فقد وُجد اتجاه يعترض على أن يكون مجرد زواج يوسف بمريم سبباً مصححاً للإلحاق[٤]، كما أن الرؤيتين اليهودية النصرانية ليستا متفقتين في علاقة يوسف بمريم؛ فإذ يُزعم النصارى أنها علاقة زواج يفترى اليهود الكذب بأنها علاقة غير شرعية، وقد أشار القرآن الكريم إلى بهتانهم في قوله –تعالى–: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾[٥]، وهو أصل مقولتهم المخزية بأن عيسى من سفاح[٦]، فحاولوا توجيه العلاقة بأنها بدأت بخطبة ثم حصل الزواج بعد ولادة المسيح ليمكن إلحاق نسبه بيوسف بالتبني[٧]، ولهذه الغاية تم التعديل على النصوص والروايات لإزالة ما يتعارض معها، ثم تطور الأمر إلى اضطرار الكنيسة إلى القول بوجود إخوة لعيسى من أمه بعد ولادته العذرية، لعدم دلالة الأناجيل على استمرار العذرية لمريم[٨]!

ومن منحى آخر مهم، فإن الاتجاه الذي ذكرناه قسيماً في الرؤية النصرانية لمفهوم الميلاد من الاعتراض على بنوة المسيح ليوسف النجار من دون ولادة، لا يقوم على الحِجاج بتنزيه المسيح من البنوة المزعومة، وأنه مولود بشري بأمر الله وقدرته، وإنما يعتمد على مبدأ مادي يقول بأن مريم كانت زوجة ليوسف قبل ولادة عيسى، وأنه مسبوق بأولاد آخرين من يوسف[٩]! في

---

(١) إنجيل متّى، ١: ١.

(٢) إنجيل لوقا، ٣: ٢٣. وثمة اختلافات وملاحظات أخرى في هذا النسب المزعوم، انظر: تطور الإنجيل، لإينوك باول، ص١٤٧، و: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، لأحمد عبدالوهاب، ص٨٣، وص٨٤، وص٨٩.

(٣) انظر: أضواء على أناجيل الطفولة، للكاردينال جان دانيالو، ص١٥.

(٤) انظر: تاريخ الفكر المسيحي، لحنا الفاخوري، ١، ج١٧٣/٢.

(٥) سورة النساء: ١٥٦.

(٦) انظر: الجواب الصحيح، لابن تيمية، ١٤٤/٢.

(٧) انظر: تاريخ المسيحي، لحنا الفاخوري، ١، ج١٨١/٢.

(٨) انظر: ألغاز الإنجيل، لفراس السواح، ص١٦٧. على أن هذا ليس أمراً متفقاً عليه كنسياً؛ فثمة من يذهب إلى أنه لم يكن للمسيح إخوة، وإنما أقارب لأمه، سموا أخوة لما جرت عليه العادة من تسمية الأقارب بالإخوة. انظر: مريم بحسب الأناجيل، لجان ميشو، ص١٦، و: دراسات معاصرة في العهد الجديد، للدكتور محمد البار، ص١٠١.

(٩) انظر: دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، للدكتور محمد البار، ص١٠٠

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

سياق من الروايات المكذوبة؛ فإن مريم لم تكن مخطوبة ليوسف ولا لغيره، فضلاً أن تكون تزوجت، وإنما كانت بتولاً منصرفة عن الرجال(١).

وتهافت هذا الإلحاق النسبي بآل داود، والذي ذكر لأجله خبر ميلاد المسيح في بعض الأناجيل، أوضح من يدلل عليه؛ ويكفي أن الأصل خلافه؛ فباعتراف الأناجيل أن المسيح ولد لغير أب، فكيف يكون يوسف أباً له إلا المعتقد الفاسد الباطل(٢)؟! وأما قانون البنوة الذي ظنوه مصححاً فليس دليلاً ولا حجة بذاته، كما أن الإشارات والقرائن المزعومة التي اعتمدوا عليها في أنه سيرث ملك أبيه، باطلة من وجهين: (الأول: أن عيسى –عليه السلام– من أولاد يواقيم على حسب النسب المندرج في إنجيل متّى(٣)، وأحدٌ من أولاده لا يصلح أن يجلس على كرسي داود، كما هو مصرح في الباب السادس والثلاثين من كتاب أرمياء(٤)، والثاني: أن المسيح لم يجلس على كرسي داود ساعة، ولم يحصل له حكومة على آل يعقوب... على أنه يعلم من الباب السادس من إنجيل يوحنا أنه كان هارباً من كونه ملكاً(٥)، ولا يتصور الهرب من أمر بعثه الله لأجله على ما بشر جبريل أمه قبل ولادته)(٦).

ومع ذلك، ورغم الملاحظات على النسب المزعوم للمسيح لآل داود، والذي اختُرع ورُكب –لتأكيد توافر صفات المسيح المخلص التي في العهد القديم، في عيسى عليه السلام– فإن رواياته الإنجيلية اتسمت بما اتسمت بها الروايات المدرجة لتقرير عقيدة تأليه المسيح، من زعم التسليم والقبول وعدم الإيراد عليها في السياقات والحوارات المختلفة، بما يدل على تكامل أبعاد هاتين العقيدتين في ذكر خبر الميلاد في الأناجيل التي ذكرته، وتوجيه الروايات على وفقهما، ولهذا رصد بعض النقاد تدخلات كثيرة وتغييرات واسعة على النصوص الإنجيلية الأولى للمواءمة –فيما يظنون– بين فرية أبوية يوسف للمسيح لتقرير عقيدة المسيح المخلص، وفرية أنه ابن الرب لتقرير عقيدة تأليهه(٧)! تعالى الله عما يقولون ويصفون.

---

(١) انظر: تحقيق القول في مسألة عيسى، لابن تيمية، ص٣٩.
(٢) انظر: ولادة المسيح وإشكالية التثاقف اليهودي المسيحي، ليوسف هريمة، ص١٢٨.
(٣) وهو عمران والد مريم. وانظر: إنجيل متّى، ١: ١٣.
(٤) وذلك بسبب قصة طويلة مزعومة عن إحراق الملك يواقيم كتاب النبي إرميا الذي فيه أمر بني إسرائيل بالتوبة قبل إهلاكهم وذهاب ملكهم بتسليط البابليين عليهم، فلما أحرق الكتاب عوقب هو ونسله بالحرمان من ملك آل دواد إلى الأبد. انظر: سفر إرميا، ٣٦: ١–، ٣١.
(٥) انظر: إنجيل يوحنا: ٦: ١٥.
(٦) إظهار الحق، لرحمة الله الهندي، ٣٤٣/٢. وانظر: الوجه الآخر للمسيح، لفراس السواح، ص١٢٠.
(٧) انظر في ذلك: أثر الخلافات المسيحية المبكرة حول طبيعة المسيح على نص العهد الجديد، للدكتور بارت إيرمان، ص٦٠–٧٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ /ديسمبر ٢٠٢١م)

الخاتمة

أحمد الله –تعالى– على ما أعان ويسر، وأسأله أن يجعل هذا البحث خالصاً صواباً، ثم أسجل النتائج والتوصيات الآتية:

١– أن المصادر الإسلامية فصّلت خبر ميلاد المسيح بما يُؤكد إفراد الله –عز وجل– بالتوحيد، وإحاطة علمه وشمول قدرته ونفاذ مشيئته وكمال حكمته، وإقرار المسيح وأمه بالعبودية لله، واصطفاء وطهارة مريم، وتقرير العقائد الصحيحة في القدر والملائكة واليوم الآخر، وأما الميلاد في المصادر النصرانية الإنجيلية فكان موجزاً وغامضاً ومختلفاً فيه ومتضمناً فساد العقيدة في حق الله، وفي ملائكته ورسله.

٢– اتسمت المصادر الإسلامية بالاتفاق في خبر الميلاد لاعتمادها على أصل معصوم وهو القرآن وصحيح السنة، واختلفت أحداثه ومضامينه في المصادر النصرانية؛ لما تعرضت له من التغيير والتبديل، فهي مصادر غير معصومة ولم تنقل بسند، وموضوع خبر ميلاد المسيح أحد شواهد التحريف فيها.

٣– ورد خبر الميلاد في المصادر الإسلامية متوافقاً مع العقل الصريح والفطرة السليمة، بخلاف ما هو عليه في المصادر الإنجيلية من مناقضة للفطرة والعقل عدا عن النقل؛ ولذا واجهت الروايات فيه –كما في غيره– إشكالات كثيرة.

٤– كان للعوامل العقدية الكبرى التي طرأت على النصرانية، خاصة اعتقاد ألوهية المسيح وأنه المخلص المنتظر، أثر بالغ في طبيعة واتجاه روايات الميلاد في المصادر الإنجيلية في ذكره وعدم ذكره، ومن حيث شكلها ومضامينها وسماتها التي اتسمت بها.

٥– تمثل المصادر الإسلامية المورد العلمي الحقيقي لمعرفة أحداث ميلاد المسيح –عليه السلام–، وفق المعايير الموضوعية، أما المصادر النصرانية فتضمنت التناقض والاختلاف وتوارد المضامين الأجنبية الفاسدة على رواياته، ولم تزل موضع نقد وتعقب في الدراسات المعاصرة!

أما التوصيات في الموضوع، فأوصي بما يلي:

١– الاهتمام بالدراسات المقارنة في مجال الأديان.

٢– تسجيل موضوعات في المسيح بين المصادر الإسلامية والمصادر النصرانية، في غير الميلاد.

٣– تسجيل موضوعات في الأنبياء والملائكة بين المصادر الإسلامية والمصادر الدينية المختلفة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/ديسمبر٢٠٢١م)

The birth of the Christ, peace be upon him, between the Islamic sources and the Christian sources: a doctrinal study

Dr. sulaeman abn abdalazeez alrbaie
،Department Of Contemporary Belief and Doctrines
College Of Sharia and Islamic Studies, Qassim University
salrbaie@qu.edu.sa

Abstract:
This research tackles by the comparative doctrinal study the topic of the birth of the Christ – peace be upon him- between the Islamic sources and the Christian sources. While the holy Quran detailed the birth of the Christ in a way that indicates to the incomparability of Allah- glory be to him- complete monotheism and belief in him, the acknowledgment of the Christ and his mother as being slaves for Allah, the selection, the recommendation and chastity of Mary and the report of the doctrines in the acts of God, the prophecies, the angels and the last day. The other Islamic sources that tackle this topic have confirmed this including the Sunnah and the books of history. The birth of the Christ was absent from two of the legal Gospels with the Christians. The Gospels which stated the birth of the Christ – whether they were legal or plagiarized – included invalid doctrines about Allah, the prophet, the angels and about the truth of the Christ and his mother, not to mention the concise, contradictory and different reporting about it. This matter gave importance to the study of the topic with its reasons and evidences. Therefore, the texts of the birth of the Christ were investigated and their doctrinal connotations were analyzed in the Islamic sources, the resources were followed and the narrations were examined in the Gospels with all of their criticism and comments. There doctrinal reasons were given particular importance for the lack of mentioning the birth of the Christ in some of the Gospels and mentioning it in other Gospels with special traits in the form and the content, special theme.
The research has reached to some results, most importantly, that the events of the birth of the Christ in the Islamic sources referred to the correct doctrine which is compatible with the common sense and the reason for the infallibility of the holy Quran and the correct Sunnah in contrary to the elements of not mentioning it and the connotations of mentioning it in the Gospel sources including the invalidity, corruption and difference due to the effect of the distorted doctrines, particularly the doctrine of making Jesus the God and that he is the waited savior, that made them unauthentic sources and subject to criticism even from some of the Christian scholars. The study indicated to the infallibility of the holy Quran from distortion, its domination and being a witness on all of the previous books, on the completion of Islam and abrogation of all faiths and religions.

Keywords: the birth of the Christ, the sources, Islam, Christianity

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ /ديسمبر٢٠٢١م)

مصادر ومراجع البحث

١- أثر الخلافات المسيحية المبكرة حول طبيعة المسيح على نص العهد الجديد، للدكتور بارت إيرمان، ترجمة الدكتور تامر متولي، (دون بيانات طبع).

٢- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، (معجم الأدباء)، لياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق إحسان عباس، الناشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة أولى، ١٤١٤هـ.

٣- إزائية الأناجيل الأربعة، تنسيق الأب صبحي حموي اليسوعي، طبعة دار المشرق، بيروت، طبعة أولى ٢٠٠٠م.

٤- أسطورة المسيحية بين الحقيقة والخيال، لجورج إدوارد إفري، ترجمة عادل أسعد الميري، طبعة آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة أولى ٢٠١٥م.

٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.

٦- أضواء على أناجيل الطفولة، للكاردينال جان دانيالو، نقلها إلى العربية فيكتور سلحت اليسوعي، طبعة دار المشرق، بيروت، طبعة ثالثة ١٩٩٠م.

٧- إظهار الحق، لمحمد رحمة الله الهندي، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد ملكاوي ، الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، الرياض، طبعة أولى، ١٤١٠هـ.

٨- أقانيم النصارى: بيان ونقد، للدكتور أحمد حجازي السقا، طبعة مكتبة النافذة، القاهرة، طبعة أولى ٢٠٠٦م.

٩- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، لسليمان بن عبدالقوي الطوفي، تقديم وتعليق الدكتور بكر زكي عوض، طبعة سعيد رأفت للطباعة، القاهرة، طبعة ثانية ١٤٠٧هـ.

١٠- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب علاء الدين بن بلبان، خرج أحاديثه وعلق عليه الشيخ شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ.

١١- الأناجيل الإزائية؛ متّى، مرقس، لوقا، نسقها وقدم لها الخوري بولس الفغالي، طبعة الرابطة الكتابية، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٣م

١٢- الأناجيل المنحولة، ترجمة اسكندر شديد، تقديم ومراجعة جوزف قزي وإلياس خليفة، طبعة دير سيدة النصر، غوسطا، بيروت، (دون بيانات أخرى).

١٣- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، لسليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق سالم القرني، طبعة مكتبة العبيكان، الرياض، طبعة أولى ١٤١٩هـ.

١٤- الأنثروبولوجيا المسيحية: الله على صورة الأبن ومثاله، للأب فاضل سيداروس، دار المشرق، بيروت، طبعة أولى ٢٠١٣م.

١٥- الإنجيل الحي في الكنيسة، لبرنار سيسبويه، تعريب الأب جرجس المارديني، طبعة دار المشرق، بيروت، طبعة أولى ١٩٨٧م.

١٦- البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، الناشر دار هجر، القاهرة، طبعة أولى ١٤١٨هـ.

١٧- تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، للدكتور أحمد علي عجينة، طبعة دار الآفاق العربية، القاهرة، طبعة أولى ٢٠٠٦م.

١٨- تاريخ أديان التوحيد في الهلال الخصيب، للدكتور ليون جركسيان، طبعة خطوات للنشر والتوزيع، دمشق، طبعة أولى ٢٠١١م.

١٩- تاريخ الفكر المسيحي، للقس حنا الفاخوري، طبعة الثقافة، القاهرة، طبعة أولى ١٩٩٨١م.

٢٠- تاريخ الكتاب المقدس، لكارين أرمسترونغ، ترجمة الدكتور محمد صفار، طبعة مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، طبعة أولى ١٤٣١هـ.

٢١- تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين حتى اليوم، لستيفن. م. ميلر وروبرت. ف. هوبر، ترجمة وليم وهبة، بمشاركة وجدي وهبة، طبعة دار الثقافة، القاهرة، طبعة أولى ٢٠٠٨م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ /ديسمبر ٢٠٢١م)

٢٢- تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين التقنيين والتقديس، للدكتور يوسف الكلّام، طبعة دار صفحات، دمشق، طبعة اولى ٢٠٠٩م.

٢٣- تاريخ دمشق، لابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، تحقيق عمرو العمروي، طبعة دار الفكر، (دون بيانات)، ١٤١٥هـ.

٢٤- التأثير المسيحي في تفسير القرآن، للدكتور مصطفى بو هندي، طبعة دار الطليعة، بيروت، طبعة أولى ٢٠٠٤م.

٢٥- التجسد والصلب بين الحقيقة والافتراء، للدكتور محمد علي حماية، طبعة مكتبة الإيمان، القاهرة، طبعة ٢٠٠٩م.

٢٦- تحقيق القول في مسألة عيسى كلمة والقرآن كلام الله، لشيخ الإسلام ابن تيمية، الناشر دار الصحابة، طنطا – مصر، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٧- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، طبعة أولى (دون تاريخ).

٢٨- التعريف والإعلام بما أُبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، لعبدالرحمن بن أصبغ السهيلي، تحقيق محمد فرحات، الناشر دار اللؤلؤة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ.

٢٩- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق أسعد الطيب، طبعة مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، طبعة ثالثة ١٤١٩هـ.

٣٠- تفسير الكتاب المقدس في أبعاده المتعددة، لغرانت. ز. أوزبورن، ترجمة نزيه خاطر، طبعة دار منهل الحياة، بيروت، بيروت، طبعة أولى ٢٠١٤م.

٣١- التفسير الكامل للكتاب المقدس، لمتّى هنري، مطبوعات إيجلز، القاهرة، طبعة أولى ٢٠٠٢م.

٣٢- التفسير المسيحي القديم للكتاب المقدس: العهد الجديد، نقله من اللغات الأصلية الأب الدكتور ميشال نجم، منشورات جامعة البلمند، بيروت، طبعة أولى ٢٠٠٤م.

٣٣- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لعبد الرحمن المباركفوري، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، (دون تاريخ).

٣٤- تطور الإنجيل؛ المسيح ابن الله أم مللك من نسل داود: دراسة نقدية وترجمة جديدة لأقدم الأناجيل، لإينوك باول، ترجمة أحمد إيبش، طبعة دار قتيبة، دمشق، طبعة أولى ٢٠٠٣م.

٣٥- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير، عناية محمد شمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى١٤١٩هـ.

٣٦- التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، عرّبه عن اللاتينية الأصلية المتروبوليت حبيب باشا والمطران يوحنا منصور والمطران كرلس سليم بسترس والأب يوحنا الفاخوري، (دون بيانات).

٣٧- التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا، لسعد رستم، طبعة دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، طبعة ثانية ٢٠٠٧م.

٣٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، عناية عبدالرحمن اللويحق، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة أولى ١٤٢٠هـ.

٣٩- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، لموريس بوكاي، ترجمة الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ثالثة ١٤١١هـ.

٤٠- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن عمر بن علي، عناية دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، طبعة دار النوادر، دمشق، طبعة أولى ١٤٢٩هـ.

٤١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة أولى ١٤٢٠هـ.

٤٢- الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، طبعة ثانية ١٣٨٤هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ /ديسمبر ٢٠٢١م)

٤٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل البخاري، عناية محمد الناصر، طبعة دار طوق النجاة، طبعة أولى ١٤٢٢هـ.

٤٤- جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى خلال القرون الستة الهجرية الأولى، لبدر بن محمد المعيقل، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ.

٤٥- جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن إلى العصر الحاضر، عرض ونقد، لرمضان الدسوقي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر، المنصورة، ١٤٢٤هـ.

٤٦- حتمية التجسد، للأنباء متاؤس، طبعة مكتبة السيدة العذراء، مصر، (دون بيانات أخرى).

٤٧- الخلفية الحضارية للكتاب المقدس: العهد الجديد، لكريج. س. كنر. طبعة دار الثقافة، القاهرة، طبعة أولى ٢٠٠٣م.

٤٨- دائرة المعارف الكتابية، تحرير وليم وهبة بباوي، ط دار الثقافة، القاهرة، (دون بيانات).

٤٩- دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية، للدكتور سعود الخلف، طبعة مكتبة أضواء السلف، الرياض، طبعة رابعة ١٤٢٥هـ.

٥٠- دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، للدكتور محمد علي البار، طبعة دار القلم، دمشق، (دون بيانات أخرى).

٥١- دراسات لاهوتية في الكتاب المقدس، لآدولف بول، ترجمة ماهر ناثان، طبعة دار منهل الحياة، بيروت، طبعة أولى ٢٠٠٧م.

٥٢- الدر المنثور في التفسير المأثور، لجلال الدين السيرطي، طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة أولى ١٤٠٣هـ.

٥٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي، ضبطه وصححه علي عبدالباري عطية، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى ١٤١٥هـ.

٥٤- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، عناية عبدالرزاق المهدي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة أولى١٤٢٢هـ.

٥٥- شرح صحيح البخاري، لعلي بن خلف بن بطال، تحقيق ياسر إبراهيم، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، طبعة ثانية ١٤٢٣هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ /ديسمبر٢٠٢١م)

٥٦- شرح مصابيح السنة للبغوي، لمحمد بن عز الدين بنِ فِرِشْتَا الكرماني، المشهور بابن الملَك، عناية لجنة مختصة من المحققين، طبعة إدارة الثقافة الإسلامية، طبعة أولى ١٤٣٣هـ.

٥٧- الطوائف المسيحية في مصر والعالم، لماهر يونان عبدالله، المركز المصري للطباعة، القاهرة، طبعة أولى ٢٠٠١م.

٥٨- عقيدة المسيح المنتظر وأثرها في الفكر اليهودي، للدكتور يحيى حسن علي مراد، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر، العدد الثاني والعشرون، ج٢، ١٤٣٩هـ.

٥٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد العينى، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دون تاريخ).

٦٠- العقائد المسيحية في الألوهية: نشأتها وتطورها، للدكتور داود سلمان السعدي، طبعة دار الخرف العربي، طبعة أولى ٢٠١٨م.

٦١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، وأخرجه وصححه محب الدين الخطيب، وعليه تعليقات الشيخ عبد العزيز بن باز، طبعة دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٣٧٩هـ.

٦٢- فتح البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان بن حسن القنّوجي، عني بطبعه عبدالله الأنصاري، طبعة المكتبة العصرية، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ.

٦٣- الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق وتقديم محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، د دار الريان للتراث، القاهرة، طبعة أولى ١٤٠٨هـ.

٦٤- الفكر اللاهوتي للقديس كيرلس مع القديس أثناسيوس، للقس أباكير عبد المسيح فرج، (دون بيانات نشر).

٦٥- قاموس الكتاب المقدس، ترجمة وتأليف الدكتور جورج بوست، طبعة المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٨٩٤م.

٦٦- قانون الإيمان، عقيدة وحياة، للدكتور جرجس عبدالمسيح، نشر أسرة المؤلف، طبعة ٢٠٠٨م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ /ديسمبر٢٠٢١م)

٦٧- الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، للدكتور وليم إدي، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣م.

٦٨- لاهوت المسيح، للقمص موسى واصف، طبعة مطابع غباشي، طنطا، طبعة أولى ٢٠٠٤م.

٦٩- لسان العرب، لمحمد بن مكرم الإفريقي، الناشر دار صادر، بيروت، طبعة ثالثة، ١٤١٤هـ.

٧٠- اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، لمحمد بن عبد الدائم البِرْماوي، تحقيق ودراسة لجنة بإشراف نور الدين طالب، طبعة دار النوادر، سوريا، طبعة أولى ١٤٣٣هـ.

٧١- الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، للدكتور منقذ محمود السقار، طبعة دار الإسلام، القاهرة، طبعة أولى ١٤٢٨هـ.

٧٢- ما معنى أن يسوع المسيح هو ابن الله، لصادق إلياس، (دون بيانات الطبع).

٧٣- مدخل إلى الإيمان المسيحي، لجوزيف راتسنجر، ترجمة الدكتور نبيل الخوري، منشورات المكتبة البوليسة، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٤م.

٧٤- مدخل إلى الكتاب المقدس، للأب سليم دكاش اليسوعي، طبعة دار المشرق، بيروت، طبعة ثانية ١٩٩٧م.

٧٥- محاضرات في النصرانية، لمحمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة ثالثة ١٣٨١هـ.

٧٦- مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، لنخبة من اللاهوتيين، طبعة بيروت ١٨٦٩م، (دون بيانات أخرى).

٧٧- مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير، لمحمد بن عمر الرازي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ثالثة ١٤٢٠هـ.

٧٨- مريم بحسب الأناجيل، لجان بول ميشو، طبعة دار المشرق، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٨م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ /ديسمبر٢٠٢١م)

٧٩- معالم التنزيل وأسرار التأويل، للحسين بن مسعود بن الفراء البغوي، عناية عبدالرزاق المهدي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة أولى ١٤٢٠هـ.

٨٠- معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق عبدالجليل شلبي الناشر، طبعة عالم الكتب، بيروت، طبعة أولى ١٤٠٨هـ.

٨١- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، حققه عبد السلام هارون، الناشر دار الفكر، القاهرة، طبعة ١٣٩٩هـ.

٨٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، عناية عبدالسلام عبد الشافي محمد، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى ١٤٢٢هـ.

٨٣- المدخل إلى الكتاب المقدس، لحبيب سعيد، طبعة دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، القاهرة، (دون بيانات أخرى).

٨٤- المسيحية المجردة، لسي إس لويس، ترجمة سعيد ف. باز، طبعة أوفير للطباعة والنشر، عمّان، طبعة أولى ٢٠٠٦.

٨٥- المقالات الثلاثة ضد الآريوسيين، للقديس البابا أثناسيوس الرسولي، ترجمه عن اليونانية صموئيل كامل عبدالسيد وزملاؤه، الناشر: مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة، طبعة أولى ٢٠١٥م.

٨٦- من الأناجيل إلى الإنجيل، للأب إتيان شرينتييه، نقله إلى العربية باسيل فوزي، طبعة دار المشرق، بيروت، طبعة أولى ١٩٩١م.

٨٧- منهج التطور العقدي في دراسة الأديان المقارنة: كارين أرمسترونغ نموذجاً، للدكتورة نانسي أحمد عويس، طبعة دار الهداية، القاهرة، طبعة أولى ٢٠١١م.

٨٨- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، عناية محمد ومصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت طبعة أولى ١٤١٢هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٧ – ١٣٩٣ (جمادى الأولى ١٤٤٣هـ /ديسمبر٢٠٢١م)

٨٩- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ليحيى بن شرف النووي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ثانية ١٣٩٢هـ.

٩٠- موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله، للدكتوره سارة بنت حامد العبادي، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، طبعة أولى ١٤٢٥هـ.

٩١- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، لمحمد بن محمد الادريسي، الناشر عالم الكتب، بيروت، طبعة أولى ١٤٠٩هـ.

٩٢- النصرانية من التوحيد إلى التثليث، للدكتور محمد أحمد الحاج، طبعة دار القلم، دمشق، طبعة أولى ١٤١٣هـ.

٩٣- النكت والعيون، لعلي بن محمد الماوردي، راجعه وعلق عليه السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (دون تاريخ).

٩٤- الهرطقة في المسيحية: تاريخ البدع والفرق الدينية المسيحية، لجي ويتلر، تعريب جمال سالم، طبعة دار التنوير، بيروت، طبعة ٢٠٠٧م.

٩٥- الوجه الآخر للمسيح، لفراس السواح، طبعة دار علاء الدين، دمشق، طبعة أولى ٢٠٠٤م.

٩٦- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لعلي بن أحمد الواحدي، عناية عادل عبدالموجود وزملاؤه، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى ١٤١٥هـ.